



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور - خنشلة



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

تجليات الصراع بين الأنا والآخر في رواية "حمائم الشفق" للروائي الجزائري جيلالي خلاص

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة الماستر

إشراف الأستاذ:

- د. هاشمي قشيش

إعداد الطالبتان:

- سامية طبيب

- إسمهان بن حورية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
د. إيمان ملال	أستاذ محاضر - أ.	عباس لغرور - خنشلة	رئيسا
د. هاشمي قشيش	أستاذ محاضر - أ.	عباس لغرور - خنشلة	مشرفا ومقررا
د. هند بوعود	أستاذ محاضر - أ.	عباس لغرور - خنشلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023

شكر و عرفان

بمعون الله وتوفيقه بحقبة عام كامل، وجهود مضت أكمّلنا
المذكّرة، فالحمد لله حمدا كثيرا يليق بجمال وجهه وعظيم
سلطانه، له الثناء والشكر،

كما ننتهز الفرصة للتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ
المشرف "هاشمي قشيش" حفظه الله ورعاه وجعله دوما نبراسا
للعلم والمعرفة.

الشكر الجزيل إلى كل من علمنا حرفا إلى كل من كان سببا
فيما نحن عليه، جزاهم الله خيرا، وأبقاهم شعلة لنور العلم.

كذلك الشكر الجزيل إلى كل من أماننا حتى ولو بدعوة في
انجاز هذا العمل، سائلين المولى عز وجل لتوفيقهم السداد،
والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيد خلق الله أجمعين

مقدمة

مقدمة:

تعد الرواية الجزائرية المعاصرة معلما بارزا من معالم الأدب الجزائري، إذ واكبت الواقع/المجتمع الجزائري في جميع ظروفه خاصة إبان الاحتلال الفرنسي إلى غاية اليوم، حيث استوعبت حمولات إيديولوجية واجتماعية وثقافية، تعكس هموم وقلق الإنسان الجزائري، ما جعلها تنفتح على أغلب المواضيع التي تمس ذاته وهويته، وتعالج قضاياها.

جدلية وصراع الأنا والآخر من أهم المواضيع التي تطرق لها النقد الأدبي المعاصر عموما، والنقد العربي المعاصر خصوصا، وامتلكت سردية الرواية كوسيط ثقافي بينهما، ذلك أنها نتيجة حتمية للمثاقفة الحضارية، إذ ترتبط الأنا بالذات وسؤال الهوية، أما الآخر فهو المختلف والمغاير للأنا، ويعبر الآخر في أغلب الروايات العربية عن المستعمر، حيث تمتاز علاقته بالأنا وبالصراع والصدام بينهما.

يتخذ مجرى هذه الدراسة تتبع مواطن الصراع بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة والكشف عنها وتحليلها، واخترنا أنموذج الدراسة رواية "حمائم الشفق" للروائي الجزائري "جيلالي خلاص" فجاء هذا البحث موسوماً بـ: "الصراع بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة، رواية حمائم الشفق للروائي جيلالي خلاص-أنموذجا-".

إن من أهم أسباب هذه الدراسة واختيار هذا الموضوع، هي أسباب ذاتية نابعة عن دراستنا للأدب الجزائري، وميولنا للرواية الجزائرية التي كانت حاضرة في الساحة الأدبية والنقدية بشقيها المكتوبة باللغة الفرنسية والمكتوبة باللغة العربية، وتوظيفها لجميع الثيمات المدروسة في الأدب الغربي والعربي محاولة منا تسليط بعض الضوء على واحدة من هذه الثيمات وهي الصراع بين الأنا والآخر، كما هناك أسباب موضوعية وهي إبراز خصوصية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية وتمظهراتها، أما عن سبب اختيار الرواية الأنموذج "حمائم الشفق" للروائي الجزائري "جيلالي خلاص" هو أنها رواية جزائرية معاصرة، غنية جدا

بتوظيف آليات التجريب الروائي، وغناها بتشكيلات الأنا و الآخر بصيغها المختلفة، حيث أن هذه الرواية تنتمي لرواية جيل الثمانينات، حيث كان البحث عن الذات والهوية سؤالاً مطروحا من قبل كل مثقف جزائري، ومنه تكونت إشكالية هذه الدراسة: ماهي تجليات الصراع بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة؟

تتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة ثانوية أهمها:

- ما هي أنواع العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة؟
- إلى أي مدى يبرز الصراع بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة؟
- ما هي خصوصية حضور ثيمة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة؟

للإجابة على هذه الإشكالية المطروحة تبينا المنهج النقدي البنيوي الذي فتح المجال للدراسة بشكل أوسع وأشمل للرواية، وكذا سهولة إبراز مواطن الالتقاء والصراع بين الأنا والآخر.

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة إلقاء الضوء على كيفية التعامل والتفاعل بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة، ومدى أهميتها في تشكيل دلالة النص الروائي وعملية إنتاج المعنى.

رسمنا دراستنا في خطة بحثية تمثلت فيما يلي: مقدمة، فصلين وخاتمة؛ الفصل الأول نظري والآخر تطبيقي ؛ تطرقنا في مقدمة هذه الدراسة إلى أهم العناصر القائمة عليها الدراسة وكيفية هيكلتها، كما طرحنا الإشكالية المراد البحث عن حلول لها، أما الفصل الأول فهو عبارة عن مفاهيم نظرية حول ثيمة الأنا والآخر في الدراسات الأدبية والحقول المعرفية الإنسانية، وكذا مميزات حضورها في الرواية العربية عموما والرواية الجزائرية بشقيها المكتوبة باللغة الفرنسية واللغة العربية خصوصا، أما الفصل الثاني هو محاولة الكشف عن تجليات صراع الأنا والآخر في رواية "حمام الشفق" للروائي الجزائري "جيلالي خلاص"،

من خلال مستويات البناء الروائي الثلاثة؛ الشخصية، المكان، الزمان وخصوصية حضورها فيها، وخاتمة هي حوصلة لنتائج هذه الدراسة، وملحق تطرقنا فيه لملمخص الرواية والتعريف بالكاتب، وفي أخير هذه الدراسة قائمة المصادر والمراجع.

استندنا في هذه الدراسة على مراجع أدبية وأكاديمية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه للكاتب الطاهر لبيب.
- كتاب الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، محمد مصايف.
- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

واجهتنا صعوبات وعقبات في هذه الدراسة خاصة في الجانب التطبيقي عند اختيار المنهج النقدي المناسب للدراسة وكيفية استثمار آلياته، وكذا في الجانب النظري حيث أن كثرة المادة العلمية وغزارتها؛ عرقلنا في انتقاء ما يخدم موضوعنا، لكن هذه الصعوبات لم تقف حائلا في إتمام دراستنا.

وختاماً، لا يفوتنا إلا أن نتقدم للأستاذ المشرف الدكتور "هاشمي قشيش" بأسمى عبارات الشكر والتقدير، على دعمه لنا طيلة المشوار الدراسي، وتوجيهه السديد لنا في مسار دراستنا، وتقويمه لعثراتها،

كما نوجه شكرنا الخالص لقسم اللغة والأدب العربي وكلية الآداب واللغات بجامعة عباس لغرور خنشلة وأعضاء اللجنة الموقرة التي تجشمت عناء قراءة هذا البحث، والاستفادة من توجيهاتهم وملاحظاتهم.

الفصل الأول

مفاهيم أولية حول الأنا والآخر

الفصل الأول: مفاهيم أولية حول الأنا والآخر

تمهيد:

أولا/ الجهاز المفاهيمي للأنا والآخر

1/ مفهوم الأنا

1-1/ المفهوم اللغوي للأنا

1-2/ المفهوم الاصطلاحي للأنا

1-3/ المصطلحات المرادفة لمفهوم الأنا

2/ مفهوم الآخر

2-1/ المفهوم اللغوي للآخر

2-2/ المفهوم الاصطلاحي للآخر

2-3/ المصطلحات المرادفة لمفهوم الآخر

ثانيا/ حضور ثنائية الأنا والآخر في الخطاب الروائي

1/ حضور ثنائية الأنا والآخر في الرواية العربية

2/ حضور ثنائية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية

2-1/ تجليات الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

2-2/ تجليات الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية

ثالثا/ خصوصية الكتابة الروائية في خضم جدلية الأنا/الآخر

تمهيد:

نسعى في هذا الفصل إلى الإلمام بمدى خصوصية العلاقة الثنائية بين الأنا والآخر في الأدب عامة، وفي الرواية الجزائرية خاصة، وإبراز أهم المفاهيم الأساسية القائمة عليها، ومحاولة تبسيطها، لأنها مفاهيم متغيرة حسب الحقول المعرفية والعلوم الإنسانية، ومدى تشابكها في علوم اللغة والأدب.

أولاً/ الجهاز المفاهيمي للأنا والآخر:

تعد ثنائية الأنا والآخر من أهم المحاور الأساسية التي تطرقت لها مختلف العلوم الإنسانية، باعتبارها جزء من كيان الوجود وما يقابله، لذا لا بد من التطرق لمفهوم الأنا والآخر بجانبه اللغوي والاصطلاحي.

1/ مفهوم الأنا

1-1/ المفهوم اللغوي للأنا: جاء في لسان العرب في مادة أن.أ: " اسم مكنى وهو للمتكلم وحده، وإنما على الفتح بينه وبين أن، التي هي حرف ناصب للفعل، والألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف"¹، يقصد بهذا التعريف أن "أنا" اسم يشار للمتحدث نفسه، يكنى به ذاته، متحدثاً عنها، وكل ما يتعلق بكنهه، والألف الأخيرة تعنى بالحركة وهي الفتح.

وقد جاء تعريف الأنا في المعجم الوسيط بوصفه: " ضمير رفع منفصل للمتكلم، أو المتكلمة"²؛ وهو تعريف صرفي بحت، فـ "أنا" هي إحدى الضمائر التي تُصَرَّف معها

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج 2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 38.

² أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، لبنان، د.ت، ص 225.

الأفعال وأولها، والتي يقوم على أساسها علم الصرف في علوم اللغة العربية. و هو ضمير منفصل عن فعله ولا يتصل معه، يشير للمتكلم عن نفسه، سواء ذكرنا أم أنثى.

من خلال التعريفين يتضح لنا أن الأنا هي موضع الذات والنفس، وهي كيان خالص لوجود الإنسان إذ إن الأنا في النص الأدبي هي كناية عن ما يعترية الإنسان من مشاعر، وما يعايشه في مجتمعه.

1-2/ المفهوم الاصطلاحي للأنا:

يعد مفهوم الأنا من أكثر المفاهيم ضبابية وزئبقية، لا يكاد الباحث يمسك بتلابيب مفهومها حتى تنفلت منه، لتكتسي مفهومًا آخر، فـ " الأنا مفهوم مراوغ يستعصي على التعريف والحد الاصطلاحي، لأنه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب فروع العلوم الإنسانية (الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، علوم عربية، والعلوم السياسية... الخ) ¹.

ولعل أبسط تعريف للأنا نجده عند الباحث محمود يعقوبي في كتابه معجم الفلاسفة وهو أن "الأنا هو الوعي الدائم بوجود الذات من خلال شعورها بأنها محل واحد لأحوال معينة ومصدر واحد لأفعال معينة، وبأنها هي مع تغير هذه الأفعال والأحوال عبر الزمان والمكان وترادفه النفس والشعور" ². وهذا المفهوم هو مفهوم نفسي حيث يركز الأنا في ذات الإنسان ووجوده، ووعيه بذلك، وكل ما يطرأ عليها من تغيرات وتحركات فإنها تواكبه وتساييره.

تتعدد مفاهيم "الأنا" وتختلف من حقل معرفي لآخر، وتكسبها معاني جديدة، فيدل مفهوم الأنا في الفلسفة الوجودية على : " جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي، سواء كانت هذه الأعراض موجودة معا أو متعاقبة، فهو إذن مفارق

¹ عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط2، 2009م، ص189.

² محمود يعقوبي، معجم الفلاسفة-أهم المصطلحات وأشهر الأعلام-، دار الكتاب الحديث، ط1، 2008م، ص14.

للإحساسات والعواطف والأفكار، لا يتبدل بتبدلها ولا يتغير بتغيرها"¹. فالأنا في فلسفة الوجود، هي العنصر القيم والثابت في نفس الإنسان ووجوده، وهي تتأى عن الشعور والإحساس وغيرها.

يبرز مصطلح الأنا في علم النفس، بالتحليل والدراسة، فيصنفها رائد مدرسة التحليل النفسي سيغموند فرويد ضمن جهازه النفسي، إلى ثلاثة أصناف:

الهو: ويتم تعريفه على أنه "ذلك القسم من الجهاز الذي يحوي كل ما هو موروث وما هو موجود منذ الولادة، وما هو ثابت في تركيب البدن، وهو يحوي الغرائز التي تنبعث من البدن، كما يحوي العمليات النفسية المكبوتة التي فصلتها المقاومة عن الأنا"². يمثل الهو الأنا الأولية أو الفطرية، التي تولد مع نفس الإنسان، كما أنه يركز على المكبوتات التي تفرزها الأنا.

الأنا: إذ "يشرف الأنا على الحركة الإرادية، ويقوم بمهمة حفظ الذات، وهو يقبض على زمام الرغبات الغريزية التي تنبعث عن الهو فيسمح بإشباع ما يشاء منها ويكبت ما يرى ضرورة كبته مراعيًا في ذلك مبدأ الواقع"³. تتولى الأنا عمليتي الإشراف والتوجيه للهو، فهي تسير الرغبات والغرائز وتُفعل المدركات لا حسية، وبالتالي تمثل الأنا الوعي الشعوري، والهو الوعي اللاشعوري.

الأنا الأعلى: وهو ذلك "الأثر الذي يبقى في النفوس من فترة الطفولة الطويلة، التي يعيش فيها الطفل معتمداً على والديه وخاضعا لأوامرهما ونواهيهما، ويقوم الأنا عادة بتقمص شخصية الوالدين ومن يشبههما من المدرسين والمربين، وبذلك تتحول سلطة هؤلاء الأشخاص الخارجية إلى سلطة نفسية داخلية في نفس الطفل تأخذ تراقبه، وتصدر

¹ جميل صليبا، معجم الفلاسفة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، 1982م، ص140.

² سيغموند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1982م، ص16.

³ المرجع نفسه، ص ن.

إليه الأوامر، وتنقده، وتهدهد بالعقاب"¹. وتمثل هذه الأنا الضمير الذي يوجه الطفل للحرام والحلال والخطأ والصواب كل حسب تأثيره، وتعتبر الأنا التي يصبو إليها كل طفل من صغره، وحسب تأثيره بمحيطه الخارجي بدءاً بوالديه وإخوته ومربييه ومدرسيه، هي الأنا المثالية.

يعد مفهوم الأنا في علم الاجتماع من أبرز المفاهيم التي اهتم بها علماء الاجتماع واهتموا بدراساتها وتحليلها، وندرج أبسط مفهوم اجتماعي للأنا بحيث تعرف الأنا على أنها "فرد واعي لهويته المستمرة، ولا ارتباطه بالمحيط، فإحساس الفرد بأنه لا يتحقق إلا بعد إدراك كينونته أولاً، كيف لا؟ وجسدي هو مركز توجه نقطة الصفر منه أدى كل ما يستطيع رؤيته فهو عامل محرك لمجرى الإدراك"² لذا فالأنا هو الوعي بالهوية والذات، ولا يتأتى هذا الوعي إلا بعلاقة التأثير والتأثير بالمحيط الخارجي.

1-3/ المصطلحات المرادفة لمفهوم الأنا:

إن تعدد مفاهيم مصطلح الأنا، واختلافه في مشارب العلوم المعرفية الأخرى، تكونت له مرادفات تتحو منحاه المفهومي، وتتبنى معناه نذكر منها:

أ- النفس: يبرز مفهومها العام في أنها "تعني المظاهر الروحية والمادية والاجتماعية، وبين الميول والقدرات الروحية، وهي المجموع الكلي لكل ما يستطيع الإنسان أن يدعي أنه له"³. هذه المفهوم ينتمي لعلم النفس والدراسات القرآنية خصوصاً، لأنه يهتم بالجانب الروحي للإنسان، فالنفس هي ما يقابل العقل، والنفس الإنسانية في الدراسات القرآنية هي مسؤولة أمام الله عز وجل عما تصدره من أفعال وأقوال، وتحاسب عليه يوم القيامة، وتنقسم النفس إلى النفس الأمانة بالسوء، والنفس المطمئنة.

¹ المرجع السابق، ص 17.

² المرجع نفسه، ص 17.

³ نفسه، ص ن.

ب-الذات: وهو مصطلح متشعب مفاهيمه، وتختلف من حقل معرفي إلى آخر، غير أنها تصب في مفهوم الأنا، حيث أنها تعبر عن : " تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتطورات والتقييمات الخاصة بالذات يبلوره الفرد ويعتبره تعريفا نفسيا لذاته، ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المحددة الأبعاد من العناصر المختلفة لكيونته الداخلية والخارجية، وتتمثل العناصر والتصورات والمدركات التي تحدد خصائص الذات كما تنعكس إجرائيا في وصف الفرد لذاته كما يتصور هو"¹. من هذا التعريف يبدو أن الذات أشمل من النفس بحيث تعبر الذات عن كل المدركات العقلية والأحاسيس الشعورية واللاشعورية، وتجمع بين النفس والعقل.

ج-الهوية: وتكمن في أبسط تعريف لها: " اسم الكيان أو الوجود على حاله، أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هو، بناء على مقومات ومواصفات وخصائص معينة، تمكن من إدراك صاحب الهوية بعينه دون اشتباه مع أمثاله من الأشباه، والمسألة في هذه القضية تتعلق بنوعية تلك الصفات والمقومات والخصائص"². وهي مجموع السمات والخصائص والمقومات التي تميز فرد عن فرد آخر، أو شعب عن آخر، مثل مقومات الهوية الوطنية هي الدين، اللغة، العرق. وغيرها من المقومات التي تختلف من فرد لآخر أو من جماعة لأخرى.

2/ مفهوم الآخر:

2-1/المفهوم اللغوي للآخر:

جاء في لسان العرب مفهوم الآخر على أنه "اسم على أفعال والأنثى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة لأن أفعال من كذا لا يكون إلا في الصفة، وتصغير آخر أويخر، والآخر

¹ حامد زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1990م، ص 83.

² حسين بويدي ومحمد بوعبد الله وآخرون، إشكالية الهوية(دراسة في التشكل والتمثل والتفاعل)، المركز الجزائري للدراسات مجد ودار الإحسان، باتنة، الجزائر، ط1، 2020م، ص19.

بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر¹. وفي هذا التعريف نجد أن الآخر يعبر عن الغير، المختلف عن الأنا.

أما في "معجم الوسيط" فالآخر يعنى به: "تأخر الشيء جاء بعده، وتقهقر عنه ولم يصل إليه، والآخر أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد"². فالأنا والآخر يكونان من نفس الجنس، وهما وجهان لعملة واحدة.

2-2/ المفهوم الاصطلاحي للآخر:

يقوم التعريف الاصطلاحي للآخر على تعريف الأنا، حيث أن "مفهوم الآخر يتأسس على مفهوم "الجوهر"؛ أي أن ثمة سمة أساسية جوهرية تحدد الذات مما يجعل الآخر مختلفا عنها، وبالتالي لا ينتمي إلى نظامها"³.

يعد مفهوم الآخر على أنه "الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي ومتحرك، ذلك أن الآخر لا يتيح إلا لقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، وهذه النقطة المركزية ليست كاتبة بصورة مطلقة، فقط يتحد الآخر لقياس آلي كفرد، أو إلى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء لقياس إلى الرجال، والفقراء لقياس إلى الأغنياء، أو الخارجية لقياس إلى مجتمع أعم"⁴. فالآخر يقوم على وجود الأنا، ويجب أن يكونا من نفس الجنس والوحدة، فالآخر مقابل للأنا فنقول الأنا هي الشرق، فحتما الآخر سيكون الغرب وهكذا.

أما مصطلح الآخر فيرى: "المعنيون بأمر المصطلح أن معناه يقوم على ثلاثة محاور كبرى فالآخر في أكثر معانيه شيوعا يعني شخصا آخر أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية واحدة، وبالمقارنة مع ذاك الشخص أو المجموعة أستطيع أو "أستطيع" تحديد

¹ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص122.

² ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، د ط، د ت، ص 09.

³ ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط4، 2005م، ص22.

⁴ نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص20.

اختلافي(أو اختلافنا) عنها، وفي مثل هذه الضدية ينطوي هذا التحديد على التقليل من قيمة الآخر، وإعلاء قيمة الذات أو الهوية، ويشيع مثل هذا الطرح في تقابل الثقافات خاصة، وهذا ما يسود في الخطاب الاستعماري¹. ويمكن هذا المفهوم في الدراسات الثقافية وما بعد الكولونيالية، وهو وضع التقابلات والمقارنات في خضم ثقافة الواحد، فنقول الأنا المتخلف/الآخر المتقدم.

كما يميزون الآخر المشهدي وهو بدوره " لا يختلف عن الأول إلا في حالة الذات وتبلورها في مرحلة المرأة عند "جاك لاكان". فالطفل في مرحلة النمو يحاول دائما تحقيق صورته المثالية المنعكسة في المرأة في كل مكتمل والسيطرة على جسده. لكن لهذا المشهد أثرا تغريبيا إذ إن السيطرة محالة، وبالتالي فإن لهذه الغيرية جانبها التهديدي في صورة الآخر المثل. ويجد مثل هذا الآخر توظيفه في النقد النسوي والتحديث ونظرية الفيلم، بل حتى الإعلانات التجارية المرئية². وهذا الآخر نجده في الدراسات السينمائية وعلم الصورة حيث تكون صورة الآخر في الأنا المثالي المنعكسة عن الأنا الواقعية الغير مكتملة والتي تحاول جاهدة لبلوغ الأنا المثالية.

كذلك يميزون الآخر الرمزي الذي يعده " لاكان وغيره من المفكرين الفرنسيين، الآخر بامتياز، حيث يرون جميعا أن كينونة المرء لا تتحقق إلا من خلال القدرة على القول لكن هذه القدرة تعتمد على استخدامك نظاما تمثيلا(اللغة) يسبق وجودك. وهكذا فإن عرضك لأفكارك الذاتية والكيفية التي بها تمثل ذاتك تتأتى فقط من خلال اللغة التي تسبق دائما وجودك، وعليه فإن حال نطقك تكون أصلا منطوقا أو مكتوبا مسبقا، وهذا الوضع يجعل الوعي الذاتي نفسه مخترقا من الخارج؛ أي أن الذاتية النقية ليست نقية لأن الآخر الغريب قد دخل مسبقا جوهر بنيتها . وهذا ما نراه في الفلسفة الوجودية، وفلسفة ما بعد

¹ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي ، ص23.

² المرجع نفسه، ص24

البنويوية¹. ويأتي الآخر رمزيا، معتمدا على الأنا ، حيث يكون الآخر آخرًا بامتياز، حين تستطيع الأنا التعبير عن ذاتيتها، فكلما عبرت عن ذاتها -من خلال اللغة- بطريقة صحيحة، كلما أصبح الآخر آخر.

2-3/ المصطلحات المرادفة لمفهوم الآخر:

نجد مصطلح واحد متعلق بالآخر وهو الغير، وهو مرادف له، فالغيرية (Altérité) مقابل للآخرية إذ أن "السمة الغالبة على الغيرية اشتغالها على معنى التحول أو التبادل والمعارضة"². أي أن الغيرية تتسم بصفة التحول والتغير.

4/ العلاقة بين الأنا والآخر:

إن وجود العلاقة بين الأنا والآخر لا يقتصر على وجودهما فقط، بل تتعداه إلى أعماق من ذلك خاصة في الأدب، إذ "إن العلاقة بين الأنا والآخر هي الخيط الناصب للنص الإبداعي. وإذا كانت جدليتها كثيرا ما تبدو مصطنعة في الخطاب الفكري، فإن الإبداع يتيح لها من مقومات البناء والصياغة ما يوسع إمكانات تصويرها والتعبير عنها"³. وتبرز أشكال العلاقة بين الأنا/الآخر في النص الأدبي، في فضاءات تزيج الحدود الجيوسياسية وغيرها، وتندمج الإيديولوجيات في المخيال الشعري، إذ "لا توجد علاقة بالآخر إلا على قاعدة غالب ومغلوب، ومن دون هذه القاعدة، يضمحل الآخر ويصبح عدما... مندمجا تمام الاندماج بحيث يصبح الأنا"⁴ وتتحصر هذه الأشكال في صورتين:

¹ ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص 24.

² المرجع السابق، ص 24.

³ الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1999م، ص 38.

⁴ المرجع نفسه، ص 103.

- صورة الانفصال أو الصدام، وهي علاقة الأنا /الآخر السلبية والتي تنبثق عن اللقاء بين الأنا والآخر وعدم تقبلهما لبعض فينشأ نوع من الفتور ليتكور إلى علاقة عداوة ومحاربة. وهذه العلاقات نجدها في الخطاب الكولونيالي وما بعده.
- صورة الاتصال أو التوافق، وهي علاقة الأنا/الآخر الإيجابية والتي أتت ثمار علاقة المثاقفة الحضارية. وهي مرحلة تعايش الأنا مع الآخر والآخر مع الأنا، طوعا منهما.

ثانيا/ حضور الأنا والآخر في الخطاب الروائي:

ظهرت ثنائية الأنا والآخر في النقد الثقافي والدراسات ما بعد الكولونيالية التي اتجهت إلى الكشف عن العلاقات التي تربط بين الأنا والآخر في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي اتسمت بها الأنساق الثقافية المضمرة الحاضرة في الخطاب الروائي.

1/حضور ثنائية الأنا والآخر في الرواية العربية:

تبرز صورة العلاقة القائمة بين الأنا والآخر في الرواية العربية، في احتكاك العرب مع الغرب وبالضبط عند قيام الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت سنة 1798م، إذ أن هذا الاحتكاك لم يكن سياسيا فقط، بل كان اجتماعيا وثقافيا وحضاريا بالدرجة الأولى، فكانت نقطة الالتقاء؛ تصادما لحضارات* أو حضارتين مختلفتين جذريا، ما أدى إلى محاولة " الأنا" الشرقي المتخلف إلى معرفة "الآخر" الغربي المتقدم والانقياد له، فكثرت الرحلات العلمية لعاصمة فرنسا الحضارية باريس، واندesh المفكرون والعلماء الشرقيون

* نظرية صدام الحضارات هي نظرية تعود للباحث الأمريكي صموئيل هينتينغتون التي أوضحها في كتابه " صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" سنة 1996م، وهي نظرية قائمة على صراعات ما بعد الحرب الباردة التي لن تكون بين الدول القومية واختلافاتها السياسية والاقتصادية، بل ستكون الاختلافات الثقافية المحرك الرئيسي للنزاعات بين

البشر . المرجع موقع www.wikipedia.org

بالواقع الحضاري والثقافي المتقدم، فبدأوا بالترجمات والتعريب وغيرها من المجالات الأخرى؛ وهذا ما سمي بالنهضة العربية التي شملت مختلف المجالات السياسية والاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، علوم الاتصال كبروز الصحافة ودور النشر والترجمة والتعريب والدوبلاج، ما انعكس على مجال الأدب خاصة الرواية، حيث "واكبت الرواية العربية تشكل الرؤية النهضوية في جوانبها المختلفة، وخصوصا فيما يتعلق بالمواقف الفكرية ذات البعد الاستراتيجي للنهضة، مثل العلاقة مع الذات ومع الآخر بما تنطوي عليه هذه العلاقة من خصوصية الهوية والذعر من تلاشيها في فضاءات أخرى تحت ضغط الأفكار المتعلقة بالتقدم والتخلف وسلطان القوة القاهرة"¹.

تعد العلاقة الكامنة بين الأنا والآخر في الرواية العربية علاقة شرق/غرب بكل ما تحمله في طياتها من مختلف التقابلات والإيديولوجيات والثنائيات ك: الذكورة/الأُنوثة، المستعمر/المستعمر، السلطة/التبعية، التقدم/التخلف، الوطن/الغربة، المهيمن/المستضعف، الرأسمالية/الاشتراكية، المركز/الهامش، الانفتاح/الانغلاق، الاعتراف/الإنكار... الخ، التي من شأنها صنع المتخيل السرد للرواية في إطار الانفتاح على الآخر وفقا لرؤى العالم التي نبه إليها وصنّفها الباحث الناقد جميل حمداوي إلى أربعة رؤى وهي:

أ- الرؤية الإنبهارية:

تتمثل هذه الرؤية في انبهار الشرق بالغرب في مختلف المجالات وهي: "النظرة الأولى للأنا وهي تتأمل منجزات الآخر المماثل أو المخالف، تلك النظرة الحائرة القائمة على الاندهاش والتعجب والاستغراب، والانبهار بحضارة الغرب، والافتنان بتقدمه وازدهاره في شتى العلوم والفنون والتقنيات والمعارف والآداب. وغالبا ما تكون تلك النظرة في البداية فطرية ساذجة أو نظرة واعية نسبيا بالفوارق الموجودة بين الشرق والغرب أو بين المكان الأصل ومكان الغواية والجذب والافتنان. وذلك بسبب صدمة الحداثة أو صدمة الاستعمار

¹ محمد صالح الشنطي، أسئلة الفكر وفضاءات السرد، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ط1، 2013م، ص189.

والتي تفرز بشكل جلي التناقضات الهائلة والتباين الشاسع والهوة الفاصلة بين عقلية متخلفة وعقلية متقدمة"¹. وهي الرؤية التي عبرت عنها أقلام الطلائع الأولى المواكبة للحملة، ولخصت مدى وعي الأنا الشرقية بانغلاقها على العالم بأسره، ومدى تقدم الآخر الغربي وانفتاحه، فكان الآخر مرآة عاكسة لها، وفي خضم الانبهار والدهشة في الآخر، كان لا بد في هذه المرحلة من الانقياد وراءه والخضوع له، وهذا ما نجده في رواية "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" للكاتب المصري رفاة الطهطاوي الصادرة سنة 1834م، التي صوّر فيها مدى انبهاره ودهشته من الحياة الفرنسية بكل جوانبها، ووصف فيها معمار المدينة ولباس سكانها وأخلاقهم وأكلهم وثقافتهم. هذه الرواية تعكس نظرة الإعجاب والانبهار بالآخر وثقافته وتمّده، أيضا لا يفوتنا الإشارة إلى كتاب محمد بلخوجة التونسي "سلوك الإبريز في مسالك باريز" الصادر سنة 1900م، وهي وصف لأدق تفاصيل رحلته إلى باريس بمناسبة المعرض الدولي من نفس السنة، وأيضا كتاب "في عجائب الآثار في التراجم والأخبار" للمؤرخ المصري عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الذي استقرّد فيه بعرض مواصفات الآخر الغرب في مقابله الأنا الشرق بمنهج مقارنة، دون الانحياز إلى طرف. كنوع من الاستغراب والانبهار.

ب- الرؤية الحضارية:

تتبع هذه الرؤية من الوعي القائم للأنا الشرقية بخصائصها المتفردة عن الآخر الغربي، وأنها كيان وجودي له مميزاته الإثنولوجية والثقافية، حيث أن المفكرين العرب "كانت رؤيتهم للغرب على أنه رمز للحرية والعلم والتقدم والإشباع الغريزي لكل المكبوتات الظاهرة والدفينة، ولكنهم سرعان ما استيقظوا من سباتهم، وذلك ليتعرفوا على حقيقة الغرب المادي باعتباره فضاء حضاريا مخالفا عقديا وقيميا ودينيا وأخلاقيا واجتماعيا وثقافيا عن الفضاء

¹ جميل حمداوي، صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي، مجلة الأزمنة الحديثة، ع3-4، المغرب، أكتوبر

2011م، ص137-138.

الشرقي الروحاني، وأن لكل بيئة مقوماتها الخاصة، فالشرق شرق، والغرب غرب " ¹. وتكمن هذه الرؤية عند المثقفين والكتاب العرب في بدايات القرن العشرين، الذين هاجروا من أجل طلب العلم، وانبهروا وأعجبوا بالحضارة الغربية، لكنهم استدركوا الفوارق القائمة بين الحضارتين، وكان لا بد من إبراز مواقفهم في كتاباتهم، فنجد رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للروائي السوداني الطيب صالح، الذي عبر فيها عن ثنائية الذكورة / الأنوثة من خلال طابوه الجنس، ويوضحها البطل مصطفى سعيد البروفيسور السوداني الذي يسافر لانجلترا، ليُعيّن محاضراً بإحدى جامعاتها، وهو الإنسان الذي عايش الاستعمار وما نتج عنه من فقر وجوع واستعمار وطمس للهوية، هذه المكبوتات اللاشعورية وجد لها مصطفى سعيد متنفساً جنسياً في جسد زوجته البريطانية وعشيقته، وكأنه ينتقم من المستعمر عن طريق جسدهن، وأبرز الطيب صالح العلاقة بين الغرب/الشرق على أنها علاقة مصلحة متبادلة جلتها ظروف الاستعمار وما بعده، حيث أن الأنا الشرقي بقي تابعا هويتيا للآخر الغربي، لا يعرف ذاته إلا من خلال وجود الآخر، وهذا الأخير ليس مستغنياً عن الأنا الشرقي لأنه يطمع في خيراته ويستمد منه قوته لحد الآن. كما نجد رؤى مختلفة في رواية عصفور من الشرق للكاتب المصري توفيق الحكيم الذي يرفض الآخر الغربي بكل مغرياته، ويرتكز على الأنا الشرقية بكل مقوماتها العربية.

نرصد ثنائية التقدم/التخلف وقبول الآخر في رواية قنديل أم هاشم للروائي يحي حقي التي صورت أوضاع التخلف في حي (السيدة زينب الشعبي) في القاهرة، وأحوال التقدم الحضاري في أوروبا، وتوضح موقفه عندما تمت معالجة عيني ابنة عمه المريضة بزيت القنديل كمرهما لهما وهو من الطب الشعبي في المنطقة، ورفضه ذلك، غير أن موقفه تغير بيد أن أضاف العلاج العلمي²، وبالتالي شفيت عيناها، وهنا يرمز يحي حقي إلى تقبل الآخر دون المساس بمقومات الأنا العربية. وغيرها من الروايات التي عالجت قضايا الأنا

¹ جميل حمداوي، صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي، مرجع سابق، ص 138.

² محمد صالح الشنطي، أسئلة الفكر وفضاءات السرد، مرجع سابق، ص 190.

والآخر من منظور أصحابها كرواية **الحي اللاتيني** للروائي **سهيل إدريس**، رواية **أديب** للكاتب والناقد المصري **طه حسين**، ورواية **ساق البامبو** للروائي الكويتي **سعود السنعوسي**، التي تطرقت إلى الارتباط المرفوض مجتمعياً وقيماً بين رجل وكويتي وخادمته الفلبينية والتي تكللت بإنجاب الطفل **عيسى** الذي تلقى الرفض في المجتمع الكويتي، حيث تجسدت علاقة الأنا /الآخر في علاقة الرفض/القبول، أيضاً رواية قصة **حب مجوسية** للروائي السعودي **عبد الرحمن منيف** الصادرة سنة **1974م**، التي تدور حول عشق البطل للمرأة المتزوجة **ليليان** وهي أم لطفلين، بالرغم من معاشرته للكثير من النساء، غير أن ليليان كان حبه مختلفاً لها وهو حب عذري خالص. وغيرها من الروايات التي مثلت صورة الغرب بالآخر الحضاري.

ج- الرؤية السياسية الحقوقية:

تبرز هذه الرؤية في الرواية السياسية خاصة، وهي " تلك النظرة المبنية على تشخيص النظام السياسي لدولة ما، وتبيان طبيعة الحكم والدستور، ورصد علاقة الحاكم بالمحكوم سياسياً ومدنياً وعسكرياً وحزبياً ونقابياً، وتشخيص الحالة السياسية للدولة، وتبيان وضعية الحريات العامة والخاصة وحقوق الإنسان" ¹.

ترتكز رؤية الأنا للآخر على نقد نظام الحكم في البلاد، وتقييم الوضع السياسي فيها، وتجلي العلاقة القائمة بينهما في إطار سياسي وعسكري وحقوق في آن واحد، وتتمظهر هذه الرؤية في العديد من الروايات العربية التي عرّت فيها أساليب نظام الحكم في البلاد خاصة بعد الاستقلال، نذكر منها رواية **أمريكانلي** للروائي **صنع الله إبراهيم** وأيضاً روايته **نجمة أغسطس** التي صدرت عام **1974م** وهي ملحمة وطنية عاشتها مصر في القرن العشرين

¹ جميل حمداوي، صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي، مرجع سابق، ص 141.

أين ساد التيار الناصري*، وتدور أحداثها في مدينة أسوان المصرية خلال فترة بناء السد العالي الذي سبب الكثير من المعاناة والتجويع والتعذيب لسكانها وسكان القرى المجاورة، وهو قرار سياسي يعبر عن نظام الحكم القائم آنذاك، وانعكاساته السلبية على الشعب المصري. فالأنا مثلت الشعب أما الآخر هم رجال السياسة وطبقة الحكام، كما عبّرت روايات الكاتب السوري حنا مينا عن هذه الرؤية السياسية الغير المرضي عنها، كرواية رحلة الربيع والخريف الصادرة سنة 1991م، التي مثلت جزءا من المعاناة السياسية وما تبعته في جميع المجالات في بلاد الشرق، والإعجاب بحضارة المجر، وتبرز علاقة الأنا في الراوي (الخريف)، بالآخر الغربي بيروسكا (الربيع)، في ثنائية التخلف/التقدم، وامتدت أحداثها في رواية الثلج يأتي من النافذة الصادرة سنة 1999م، والتي تحكي معاناة المناضل الاشتراكي الذي يعاني من الاضطهاد السياسي والاجتماعي وصولا إلى نفية كرها. وغيرها من الروايات التي تدين أنظمة الحكم في البلاد العربية وما ينجر عنها.

د-الرؤية العدوانية:

خلقت هذه الرؤية روح التعالي بين الأنا/الآخر في أطر ثنائية عبرت عن الموقف من الآخر الغربي الذي مارس بدوره غطرسته الاستعمارية قبل ذلك، فكانت معظم المواقف والرؤى تقف على ثنائية المستعمر/المستعمر وما خلفه الاستعمار من تبعات سياسية واقتصادية، اجتماعية ثقافية، فهذه الرؤية انبثقت مع بروز الخطاب الكولونيالي، وتنبني على "اعتبار الغير أو الآخر مخالفا أو مقابل للأنا أو الذات. وبالتالي، فالغير يحاول تغريب الذات وإقصائها وتهميشها، مع ممارسة العدوان والنبذ والحقدها. فيصبح الغير هنا

* التيار الناصري هو حركة قومية عربية قائم على النظام الاشتراكي، نشأ في ظل حكم الرئيس المصري جمال عبد الناصر (1956م-1970م) في مصر واستمر بعد وفاته، يستند على أفكاره، وهو تيار معاد للنظام الإمبريالي وحركة عدم الانحياز الدولي.

جحيما لا يطاق. لذا تنتقل العلاقة بينهما من مرحلة التعايش والسلام إلى مرحلة العدوان والصراع الجدلي"¹.

تعبّر هذه الرؤية عن رفض الأنا للآخر رفضاً قاطعاً والتركيز على سلبياته لأنه يهدف إلى الطمس الهوياتي للأنا وتغريبها. وتجلت هذه الرؤية في روايات عربية عديدة، أوضح كتابها موقفهم المعادي للآخر الغربي منها روايات الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني، غير أن روايته الشهيرة "عائد إلى حيفا" الصادرة سنة 1970م، فهي تعبّر عن إنكار الأنا لأنّاه، وتغريب الذات لذاتيتها وهذا ما تمثّل في صورة الشخصية دوف (خلدون) وهو ابن لعائلة فلسطينية تم تهجيرها من قبل الاحتلال الصهيوني، وأرغمت على ترك ابنهما الوحيد خلدون صغيراً. وبعد عودتهما إلى حيفا بعد 20 سنة، وجدت المكان متغيراً وبيتهم سكنت فيه سيدة يهودية، أما ابنهم خلدون تغير وأصبح شاباً جندياً في صفوف الاحتلال الإسرائيلي، وصار اسمه دوف، وتبنى قضيتهم، وطمسّت هويته العربية، وأمسى معادياً ومحارباً لها، حين واجه والديه وعاداهما ورفضهما، عاداً خائبين دون ابنهما. هذا الرفض وهذه العدائية بين الأنا والآخر تولدت في نفس دوف، لأنه تربى بين يدي الآخر الصهيوني، فأصبح منهم، فتعرضت الأنا للاستلاب، وأصبحت آخراً. وتبرز هذه الرؤية العدائية بشكل جلي في رواية الرحلة الأصعب للشاعرة والروائية الفلسطينية فدوى طوقان هو تجسيد للأنا الفلسطينية المتعايشة مع الآخر الصهيوني المحتل، غصبا عنها وفي أراضيها، لذلك فهي تكن له كل مشاعر البغض والكره والعدائية، وتتمنى زواله، كما تتجلى هذه الرؤية في رواية ربيع حار للروائية الفلسطينية سحر خليفة. وغيرها من الروايات العربية خاصة التي تنتمي إلى أدب المقاومة.

¹ جميل حمداوي، صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي، ص 141.

2/ حضور ثنائية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية:

تميزت الرواية الجزائرية باستثمارها للعلاقة القائمة بين الأنا والآخر منذ ظهورها، وذلك في خضم تجليات الخطاب الكولونيالي في الأدب العربي عامة وفي الأدب الجزائري خاصة، فالرواية الجزائرية عملة ذات وجهين: وجه الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية ووجه الرواية المكتوبة باللغة العربية واللذان استحضرتا ثنائية الأنا والآخر بشكل جلي وواضح فيهما.

2-1/ تجليات الأنا/الآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

تبلورت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في ظل الظروف السياسية للبلاد والوجود الكولونيالي فيها، واحتكاك الأنا الجزائري بالآخر الفرنسي على امتداد قرن ونيف من الزمن، إذ كانت أولى إرهاباتها والتي "يرجع المؤرخ والباحث "جان ديغو" أول نص أدبي كتبه جزائري باللغة الفرنسية إلى سنة 1891م، وهو عبارة عن قصة بعنوان " انتقام الشيخ" مستقاة من التقاليد الاجتماعية الجزائرية، كتبها محمد بن رحال، ونشرتها المجلة الجزائرية التونسية الأدبية والفنية" ¹ . وهذه البداية تلتها روايات كثيرة صنف في علاقة الأنا/الآخر حسب موقف الأنا القومية الجزائرية من الآخر المحتل الفرنسي وهما موقفان:

أ/ موقف الأنا /الآخر السلمي:

امتازت البدايات الأولى للاحتلال بانبهار الأنا الجزائرية وإعجابها بتقديم الحضاري، فخضعت له قهرا، وتمادى في إرساء ظلمه وقوته عليها، ومحاولة طمس الذات الجزائرية، وذلك عبر هدم مقوماتها، بداية بمحاولة تنصير الشعب الجزائري وهدم المساجد وبناء الكنائس، ونشر تبشير الدين المسيحي، وإرساء دعائم اللغة الفرنسية ومحو علوم اللغة العربية، ونشر الجهل والامية، "ونظرا لهذه الوضعية العدائية المستحكمة التي ظلت تطبع

¹ أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته تطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر،

2007م، ص87.

العلاقة بين الطرفين، فقد كان أي تبادل ثقافي، أو تلاقح فكري أو تأثير حضاري بينهما يكاد يكون منعدما. لقد كان المحتل ينظر في الغالب إلى الثقافة المحلية نظرة احتقار، أما الجزائريون فكانوا يتوجسون خيفة من ثقافة المحتل¹، فلم يكن أي مردود ثقافي وأدبي جزائري آنذاك، إلى غاية انتهاء الحرب العالمية الأولى، وبعد صدور قانون فبراير سنة 1919م، والذي خفف من حدة المعاملة الفرنسية القاسية وفتح حدود التواصل الاجتماعي والثقافي والحضاري، فتعلم الأبناء لغة الآخر واستكملوا تعليمهم في فرنسا وتميزت علاقة الأنا بالآخر بمدى تأثرهم بالغرب والانبهار به، فنتج عن ذلك فئة من الأدباء، دعت إلى الاندماج والزواج المختلط².

تعد رواية "أحمد بن مصطفى القومي" الصادرة سنة 1920م لمؤلفها القايد بن الشريف باكورة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وقد صورت الواقع المعيشي للبلاد وحضارة فرنسا المتقدمة. تلتها رواية "زهراء امرأة المنجمي *zohra ; la femme du mineur*" لعبد القادر حمو، الصادرة سنة 1925م، وهي تحكي قصة عامل بسيط في منجم فحم بضواحي مدينة مليانة له زوجة، يعود في المساء إليها، حياته مستقرة بين العمل والبيت وتأدية صلواته، إلى أن رواية "مأمون بدايات مثل أعلى *Mamoun, l'ébauche d'un idéal*" للكاتب شكري خوجة التي صدرت سنة 1928م، التي عالجت موضوع احتساء الخمر وأثره على المجتمع الجزائري المسلم، ولخصه في حياة بطله "ابن القايد" الذي جاء من الريف إلى العاصمة ليستكمل دراسته، إلا أنه انبهر بحياة المستوطنين الفرنسيين من لعب ولهو، فحذا حذوهم في عقر الخمر ولعب القمار، إلى أن تدهورت صحته وتوفي جراء ذلك، أما روايته "العلاج أسير بربروسيا *El-Euldj, captif des barbaresques*" الصادرة سنة 1929م، وهي رواية تاريخية محضة.

¹ المرجع السابق، ص 87.

² المرجع نفسه، ص ن.

رواية "مريم بن النخيل" الصادرة سنة 1936م للشاعر والروائي محمد ولد الشيخ، وتمثل قصة غرام بين الشاب الجزائري المتمدن، ومريم الفرنسية، ورغم المشاكل والعقبات التي صادفها، إلى أنهما تغلبا عليها وانتهت الرواية بزواجهما، وتدعو هذه الرواية إلى تشجيع علاقة زواج الأنا بالآخر الفرنسي.

ب/ موقف الأنا/الآخر العدائي:

يتأتى هذا الموقف من الظروف السياسية للبلاد، فكانت مجازر 08 ماي 1945م، المنعطف الحاسم في توجه أقلام الأدباء والكتاب الجزائريين إلى الدعوة إلى حمل السلاح وتأجيج نار الثورة، وحتمية قيامها، هذه المجازر التي عبرت عن همجية الآخر المحتل، وعدم عدوله عن إبادة شعب (الأنا) بأكمله، فكان لابد من رد الصاع صاعين، وهذا ما تجلّى في رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون الصادرة سنة 19م، كما صدرت روايتي و "لبيك" لمالك بن نبي، و"إدريس" لعلي الحمّامي، الصادرتين سنة 1948م، وقد كانا "كلا الكاتبين بعيدين عن الفكر الاندماجي الذي كانت تدعو إليه حركة "الفتيان الجزائريين"¹، فعالجت الرواية الأولى مشكلة معاقرة البطل للخمر وإدمانه عليها ومدى سوء حالته، لكنه يجد الحل بالعودة إلى الله سبحانه وتعالى، وإعلان توبته وذهابه للحج إلى البقاع المقدسة، أما الثانية فتعد أول رواية جزائرية تنادي إلى الكفاح المسلح كوسيلة للتحرر من الآخر المحتل.

تأتي الثلاثية الروائية بدء برواية "الدار الكبيرة" الصادرة سنة 1952م، و"الحريق" الصادرة سنة 1954م، و"النول" الصادرة سنة 1957م، لمحمد ديب، فرواية الدار الكبيرة لتوضح الواقع المعيشي للأنا وسياسة التجويع التي فرضها الآخر المستعمر، وبروز طبقة مناضلة خفية وسط عامة الشعب، كبداية للثورة، أما رواية "الحريق" فصورت أشكال المعاناة في الريف الجزائري، وكيفية استغلال الفلاحين وعيشهم الفقر، ورواية "النول" صورت جانبا

¹ المرجع السابق، ص104.

آخر من المعاناة الجزائرية وهي معاناة أصحاب الحرف والمهن الحرة في المدن، فهاتان الروايتان هما امتداد للرواية الأولى في تصوير الواقع المعيشي المتردي للأنا والذي سببه الآخر المحتل الغاشم، نجد رواية "الربوة المنسية" للكاتب مولود معمري الصادرة سنة 1952م، ورواية "توم العدل" الصادرة سنة 1955م¹ للكاتب نفسه، التي تعرضت للآفات الاجتماعية من فقر وجوع وجهل في القرى القبائلية والمداشر المنعزلة في الجبال، ونشوب الخلافات فيما بينهم، جراء الآخر الغاشم، واستغلاله لهذا الوضع بما يخدم مصالحه، أما رواية "تجمة" للكاتب كاتب ياسين الصادرة سنة 1956م، تناولت حالة الاستغلال التي تعيشها الأنا (العاملين اليوميين الجزائريين) من طرف الآخر (المعمرين الفرنسيين أصحاب العمل) في المدن وانتهاك لحقوقهم، وأكل عرق جبينهم، هذه الحالة فرضت قيود التمرد لدى العاملين، وانتفضوا من أجل حقوقهم ونادوا بقيم التحرر والاستقلال. ومن جانب ثان تناولت الرواية مجازر 08 ماي 1945م، وما أسفر عنها من قمع وقتل وحرق، وما ستؤول إليه من قيام للثورة.

نجد أن الروايات السابقة نادت بنبذ الآخر والانفصال عنه ولو بالقوة، ومحاربتة بالسلاح، ذلك لما سببه من أشكال الظلم وممارسة أساليبه الغير إنسانية في حق الأنا الجزائرية، لتأتي ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م الكبرى لتحقيق أمنية الأنا الواحد وهي التحرر من قيود الآخر المستبد، لتدوم سبع سنوات ونصف من الكفاح المسلح لتتال استغلالها في 05 جويلية 1962م، وقد تجلت صور الثورة المجيدة في روايات كتابها، فكانت رواية "الانطباع الأخير" للكاتب مالك حداد الصادرة سنة 1958م سباقة إلى رصد وقائع الثورة المسلحة، وكذا رواية "صيف إفريقي" للكاتب محمد ديب الصادرة سنة 1959م، التي صورت عدة جوانب من المقاومة الشعبية في المدن والأرياف والصحاري من قبل المثقفين والأميين، والكهول والشبان وجميع أطياف المجتمع الجزائري.

¹ أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 107.

لم تتأخر الكتابة النسوية باللغة الفرنسية عن الالتحاق بصفوف المنددين بالثورة واتخاذها موضوعا لكتاباتهما، فرواية "أطفال العالم الجديد" للكاتبة آسيا جبار الصادرة سنة 1962م، وروايات **ملكة مقدم**. تتلاحق فيما بعد الروايات وتجعل من موضوع الثورة المباركة ثيمة كتاباتهم، وتجلي علاقة الأنا بالآخر علاقة صدام وصراع في جميع الجوانب الحياتية.

برزت روايات ما بعد الاستقلال محاولة منها معالجة الذات الجزائرية المتشظية، مداواة جروحها، والتي عانت من أهوال الآخر المستبد، منها ما ورد في رواية "ذاكرة الغائب" للكاتب نبيل فارس الصادرة سنة 1974م، ورواية "العبور" للكاتب مولود معمري الصادرة سنة 1982م¹، اللتان طرحتا إشكالية الهوية الوطنية، والعديد من الروايات التي اهتمت بموضوع الذات وأسئلة الهوية.

تتغير علاقة الأنا بالآخر بعد أحداث ووقائع أكتوبر 1988م، وما نتج عنه فيما سمي بالعشرية السوداء، ليصبح الأنا والآخر من أبناء الوطن الواحد والجنس الواحد والدين الواحد، نجد رواية "اللغة" للكاتب رشيد ميموني الصادرة سنة 1993م، وغيرها من الروايات التي تناولت محنة العشرية السوداء، فسميت بـ "رواية الأزمة أو المحنة" في جوانبها المختلفة.

2-2/ تجليات الأنا/الآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية:

صاحب حضور ثنائية الأنا/الآخر وتجليها في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، نمطها الكرونولوجي، ومسارها التاريخي، حيث تمثل الآخر في الاستعمار الفرنسي، أما الأنا فهي الذات الجزائرية المتشظية جراء الاستعمار، وتبرز العلاقة بينهما حسب تطور الرواية الجزائرية.

¹ المرجع السابق، ص 104.

إن تأخر ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية عن سابقتها الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية هو أن "اللغة العربية خضعت لعملية تطور مشوهة. وكان الاستعمار على رأس ذلك. فمثلما حارب الشعب الجزائري، كشعب طالب بكرامته وحريته، حوربت اللغة العربية كظاهرة اتصال وتواصل بين الناس مستهدفا إبادة. ففي ظل هذه الظروف، بطبيعة الحال، كان لابد أن تنمو أعمال أدبية خجولة ومحدودة جدا، ساعدها في ذلك النمو، الصراع المر الذي كانت تقوده مختلف الأحزاب والجمعيات الدينية"¹. فالبدائيات الفعلية الأولى كانت إرهابات جذرية نتجت عن الحركة الإصلاحية في الجزائر بقيادة جمعية العلماء المسلمين، التي سعت إلى نشر تعاليم الدين الإسلامي وفرض التعليم باللغة العربية، ونشر العلم وتعميمه، سعيا منها لاسترجاع الهوية الوطنية والمحافظة على ما تبقى منها ونجد أولى هذه الروايات "غادة أم القرى" للكاتب أحمد رضا حوحو الصادرة سنة 1947م، تدور قصتها حول واقع المرأة الجزائرية وحرمانها من أبسط حقوقها، فتجسدت ثنائية الأنا/الآخر في الأنوثة/الذكورة تلتها رواية "الطالب المنكوب" للروائي عبد المجيد الشافعي الصادرة عام 1951م.

تتحي الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية منحا جديدا إبان الثورة التحريرية العظمى، في فترة الخمسينات، لتتحد موضوعاتها في ثيمة الثورة، بوجهات نظر مختلفة، فظهرت رواية "الحريق" للكاتب نور الدين بوجدر الصادرة سنة 1957م.

أما عن رواية ما بعد الاستقلال وفترة الستينات لا نجد الكثير منها فصدت رواية "صوت الغرام" للكاتب محمد منيع سنة 1966م، ذلك أن الجزائريين منشغلين بعملية التشييد والبناء، لذا فهي "لم تتطور صوب اتجاهات فنية واضحة بل ظلت مجرد محاولات معزولة لم ترق إلى المستوى المطلوب، وهذا الموقف يتناسب والظرف التاريخي السائد، والدارس لهذه النتاجات يلاحظ سيطرة المضامين الانفعالية التي تمجد الأحاسيس

¹ واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص45.

السطحية والتي لا نجد أي كاتب أو ناقد أثار مثلاً مسألة الشكل الفني أو الجوانب الجمالية للنص"¹

ظهرت في بداية السبعينات أول رواية جزائرية مكتوبة باللغة العربية ومكتملة بنائها الفني هي رواية "ريح الجنوب" للكاتب عبد الحميد بن هدوقة الصادرة سنة 1970م، التي كانت تطمح إلى مداواة جروح الجزائريين بالنهوض بالاقتصاد وإعادة الأراضي للفلاحين وإزالة البؤس عنهم واستصلاح أراضيهم. أما رواية "نهاية الأمس" لنفس المؤلف الصادرة سنة 1975م طرحت وقوف النظام الإقطاعي في الإصلاحات الجارية، حيث صور لنا الصراع القائم بين البشير النموذج الإصلاحي وابن صخري النموذج الإقطاعي فهي كما يقول الباحث محمد مصايف: "صراع بين نزعتين تمثل إحداها الإقطاع وحب الاستغلال والرغبة في إبقاء ما كان على ما كان والأخرى تمثل المتقدمين أمثال البشير للعمل من أجل الصالح العام، ورفض الهيمنة في إصلاح الريف"².

هيمنت ثيمة الثورة على روايات السبعينات والثمانينات حيث اهتم الكتاب بتوجيه آرائهم نحوها، وما نتج عنها، فهناك من أخذ على عاتقه وصفها والإقرار بمجرياتها حسب وجهة ومنطقته، وهناك من أخذها بالنقد والتحليل وطرح علامات الاستفهام، فنجد رواية "البزاة" للكاتب مرزاق بقطاش الصادرة سنة 1983م، ورواية "المؤامرة" للكاتب محمد مصايف الصادرة سنة 1983م، رواية "هموم الزمن الفلاقي" للكاتب محمد مفلح الصادرة سنة 1985م، هذه الروايات التي مجدت الثورة في ثناياها والانتصارات المصاحبة لها وتخلد شهادتها، أما رواية "التفكك" للكاتب رشيد بوجدر الصادرة سنة 1982م، ورواية "توار اللوز" للكاتب واسيني الأعرج الصادرة سنة 1983م، رواية "اللاز" للكاتب الطاهر وطار الصادرة سنة 1972م، رواية "زمن النمرود" للكاتب الحبيب السايح الصادرة سنة 1985م، حيث أن

¹ أحلام معمري، مقال نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، عد20، 2014م، ص60.

² محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الجزائر، 1983م، ص91.

صورة الثورة في هذه الأعمال "لم تحضر بوصفها رقعة أرجوانية تزين النص الأدبي ولا كجسر يمكن الكاتب من العبور إلى اكتساب الشرعية الأدبية، وإنما الارتداد إلى صورة الحرب يمثل مرتكزا شرعيا نقديا نقيضا لشرعية تاريخية يمثلها الخطاب الرسمي بشكل زائف. وهنا يتداخل السياسي والاجتماعي والنفسي والتاريخي وتقتصر أي مقارنة نقدية عن ملامسة الإشكالية التي يطرحها النص إذ هي اعتمدت منطلقا أحاديا، وإذا هي لم تتسلح بوعي واقعي تاريخي"¹.

ثالثا/ خصوصية الكتابة الروائية في خضم جدلية الأنا والآخر:

تعد ثنائية الأنا /الآخر من أهم الموضوعات التي رافقت الرواية العربية والجزائرية على حد سواء، وأبرزت مدى خصوصيتها فيهما ونذكر بعض هذه الميزات:

- 1-تكتسي هذه الرواية طابع المقارنة والمقابلة بين الأنا والآخر في المواضيع المراد معالجتها في الرواية.
- 2- ظهور الثنائيات الموضوعاتية كالشرق/الغرب، الأنوثة/ الذكورة، التخلف/التقدم...الخ.
- 3- بروز صفة الاستلاب في الخطاب الروائي
- 4-تطويع العناصر الفنية للبناء السردى وفق العلاقات الرابطة بين الأنا والآخر والثنائيات المترادفة.
- 5-إزالة الحدود الجيوسياسية في الرواية حسب جدلية الأنا والآخر.
- 6- تشكل التعدد اللغوي والضمائري في الرواية، الذي يوحي للأنا والآخر عن طريق الأنساق المضمرة.

¹ مخلوف عامر، مراجعات في الأدب الجزائري، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013م، ص96.

7- حضور المرأة في الرواية كنسق ثقافي حضاري يرمز للأنا(الشرق) التابعة للآخر (الغرب).

نستشف من خلال هذا الفصل أن تجليات الأنا /الآخر في الخطاب الروائي عامة والرواية الجزائرية خاصة كان في إطار علاقات الصدام والصراع في أغلبها حيث أن الاستعمار الفرنسي كان له الدور الفعال في رسم حدود هذه العلاقة.

الفصل الثاني:

تجليات صراع الأنا والآخر في

رواية "حمائم الشفق" للروائي

الجزائري "جيلالي خلاص"

الفصل الثاني : تجليات صراع الأنا والآخر في رواية "حمام الشفق" للروائي "جيلالي خلاص"

تمهيد:

أولاً: الشخصية الضمائية وحضورها بين الأنا والآخر:

1/ الأنا الوطني/الآخر الخائن

2/ الأنا الأنثوي/الآخر الذكوري

2-1/ علاقة حب وفخر

2-2/ علاقة وصال وتفاهم

2-3/ علاقة صدام وعدم التوافق

3/ الأنا(الهو) المستقبل/الآخر الواقع

4/ الأنا الضحية/الآخر المتهم

ثانياً: الفضاء المكاني بين جدلية الأنا/الآخر

1/ الأنا البر/ الآخر البحر

2/ الأنا المدينة / الآخر الجبل

3/ الأنا السجن/ الآخر المدينة

4/ المدينة(هي)الواقع/ المدينة الحلم

ثالثاً: الفضاء الزمني بين حضور الأنا /الآخر

1/الأنا الماضي/ الآخر المستقبل

2/ الأنا الصيف/ الآخر الشتاء

3/ الأنا الليل/الآخر النهار

الفصل الثاني : تجليات صراع الأنا والآخر في رواية "حمام الشفق" للروائي "جيلالي خلاص"

تمهيد:

نحاول في هذا الفصل الإحاطة ببعض تمثيلات/تجليات الأنا والآخر في رواية "حمام الشفق" للروائي الجزائري جيلالي خلاص، واستظهار فرص التقاء الأنا والآخر في مواقع مختلفة، وعبر مستويات بناء النص/الخطاب الروائي، من شخصيات وأمكنة/أفضية وأزمنة .
أولاً: الشخصية الضمائية وحضورها بين الأنا والآخر:

تلعب شخصيات الرواية دورا كبيرا في إبراز فحواها، ذلك أنها المحرك الأساسي للمتن الروائي، والشخصيات في الرواية هي أشخاص طبيعية تسند لها أدوار تمكنها من تفعيل الحبكة وتعقيدها ثم إيجاد الحل في الأخير. غير أن في رواية "حمام الشفق" للروائي الجزائري "جيلالي خلاص" نجدها كما في الرواية التقليدية، إذ أنها عبارة عن كناية بالضمائر العربية (أنا، أنت، أنت، هو، هي، نحن، أنتم، أنتما، هما، أنتم، أنتن، هم، هن). وهذه كتابة روائية جديدة، حيث تتجلى الشخصية الضمائية بين ثنائيات الأنا والآخر.

1/ الأنا الوطني (بوجبل)/الآخر الخائن (جلاوزة الشيخ)

تتجلى شخصية الأنا بوجبل في الوطني الثائر ضد أي تهديد غازي يلوح بمدينة/وطنه، فهو الثوري المخضرم الذي حارب المستعمر الذي جاء من وراء البحر -على حد تعبيره- غازيا إلى غاية الاستقلال، ثم المستعمر لأبناء جلدته الذي ما إن بلغوا سدة الحكم حتى راحوا يمارسون طرق التعسف والظلم والاستغلال. فيعبر عن حاله بلسانه: "في سبيل مدينتي، رفضت كل شيء، إلا أن أبقى وفيًا لها، خادما في بلاطها، الأغبياء، لم يفهموا موقفني طبعا وهل فهموا شيئا في الحياة؟"¹ ؛ وهنا اعتراف صريح على أنه اتخذ من حب

¹ جيلالي خلاص، حمام الشفق، المؤسسة الوطنية، رويبة، الجزائر، ط2، د.ت، ص18.

وطنه هدفا له في حياته ويهون كل شيء في سبيله وسبيل مدينته، ويتهم حكام المدينة على أنهم أغبياء عندما باعوا وطنهم: "الملذات طغت على أفكارهم وحواسهم فلم يعودوا يرون من الحياة سوى ثلاثة المال والنساء والخمر. حتى الوطن وضعوه في الجيب حتى لا يفلت منهم، غير أنني لم أنصع،...نقابيا قررت أن أبقى إذن"¹. إن محاولات إغراء الأنا الوطني بوجبل بالملذات لم يكن لها فائدة، بل احتقر كل من باع وطنه من أجل ملذات زائلة، وهم (الشيخ وجلاوزته) الخونة الذين حاربوا كل تائر وكل محب للمدينة .

اتخذت شخصية بوجبل الثورية الوطنية موقفا سياسيا، أن يكون هو طرف الدفاع عن مدينته وإلزام ذويها بالمحاربة، فعشقه لمدينته، ووطنه جعله يقف ندا لحكام المدينة، إذ إنه "عاشقا للمدينة حتى الموت (وهل يوقفني الموت عن عشقها؟) صممت أن أمضي. لن أبالي بما يخططون له، كما لن أبالي بالعذاب والتعذيب الذي يهددوني به. لا اعتقد أن تعذيبهم سيكون أقسى مما عانيت في فجاج الجبل وذراه أيام تلك الحرب المدمرة"².

مارس الآخر (شيخ المدينة وجلاوزته) كل أنواع الظلم والقهر وسفك الدماء لكل من سولت له نفسه الوقوف في طريقهم، يستذكرها الأنا بوجبل في قوله "الآن أتذكر، التناحرات المصرانية التي خيبت آمالي غداة الجلاء الأكبر. كنت أجدس شيئا من هذا القبيل. غير أنني لم أتصور أبدا أن تبلغ الأنانية والجشع بأولئك العباد(لا يمكن أن أسميهم إلا كذلك) تلك الدرجة المقيئة المقرزة لمجرد التفكير في شناعتها التي لا تختلف عن الخيانة الكبرى. بل الأكيد أنها خيانة. وهل هناك كلمة أوسع معنى من الخيانة إذا ديست المبادئ ولم الوطن ككمشة تراب ليودع تبرا في الجيوب الشخصية"³. و هكذا بيع المدينة/الوطن من طرف أبنائه الخونة من أجل مصالحهم الشخصية.

¹ المصدر السابق، ص 18.

² نفسه، ص 19.

³ نفسه، ص 19.

تبرز سياسة الآخر/الغير عادلة والتي ورثوها من آخر الآخر (الاستعمار الفرنسي) في: "منح الشيخ الأكبر، ضمن سياسته الطبقية الجديدة، حق التوسع لفئة الأثرياء والوصوليين، على حساب الحضر الفقراء، فتشوه عمران المدينة وغطت القصور المترهلة على الأنهج غازية كافة الساحات والفسحات التي كان الأطفال يمرحون فيها سابقا، مطردة أبائهم إلى مشارف المدينة حيث نشروا الخيام وباتوا يختزنون الغضب قوتا لأيام المقبلة"¹. هذه السياسة الظالمة التي شوهدت بنيان المدينة العريقة (الجزائر العاصمة) وخلفت الطبقات الاجتماعية؛ طبقة الأغنياء وهم أبناء المدينة الموالين للشيخ وجلاوزته، وطبقة الفقراء هم أبناء المدينة الرافضين لحكم الشيخ وجلاوزته دون محاربته.

قام الآخر الخائن (الشيخ وجلاوزته) بدحض الثورة عندما اغتال الأنا الوطني (بوجبل) وهو في فراشه نائما وسط عائلته، غير أن يد الغدر سلته من بينهم، ونال من التعذيب ما ناله إلى أن توفي.

2/ علاقة الأنا الأنثوي (الجوهر، جميلة) / الآخر الذكوري (بوجبل، الرسام برهان)

تتمظهر علاقة الأنا/الآخر في ثنائية الأنوثة/ الذكورة التي كانت حاضرة بقوة في هذه الرواية ، حيث تجلت في ثلاثة أشكال مختلفة من العلاقة.

2-1/ علاقة حب واعتزاز:

تكمن هذه العلاقة بين الأنا الأنثوي (جميلة) والآخر الذكوري (أبوها بوجبل)، وهي علاقة حب وفخر، حيث يعتز بكون ابنته جميلة نجحت في تكوين مسارها المهني، حيث يحثها ويحث أمها الجوهر على مساندتها والوقوف جنبها، فيقول: "جميلة ستنجح، أنا متأكد. الجوهر، أريدك أن تساعديها، أ تسمعي؟ لا بد أن تساعديها، لا تأبهي لما يفعل الأولاد

¹ المصدر السابق ، ص 77.

الآخرون" ¹؛ وينبع هذا التشجيع والمساندة من حبه لابنته الوحيدة جميلة وكذا زوجته الجوهر، وينبذ أولاده الذكور الأربعة، وكل ذكر: " فالزمن القادم زمن النساء، زمنكن، ومنكما أنت وجميلة، تبا للذكور. ليذهبوا للجحيم، لو لم يفقدوا ذكورتهم لما انصاعوا للشيخ الأكبر... أيمن للرجل أن يبقى رجلا وهو جلواز لدى أسياده الأشرار؟ كلا وألف كلا. لذلك أراني أخرج عنهم، بل لابد أن أحاربهم، وإلا فقدت رجولتي ودخلت في صف(المطوبسين) ليل نهار" ². يستشرف الأنا بوجبل المستقبل بدعوته أن الزمن المستقبلي هو زمن تبرز فيه الأنا الأنثى (النساء) وتقوده، إذ هن صناع المستقبل ، ومحركاته في الماضي(أخوات الثورة الكبرى)، ويبقى الآخر الذكوري على هامشه، وكيف لا، وقد فُقدت الرجولة مع بيع الوطن.

2-2/ علاقة وصال وتفاهم:

تبرز هذه العلاقة بين الأنا الأنثوية وهن نساء المدينة وبناتها، والآخر الذكوري بوجبل أب الثورة، وهن اللواتي يحملن مشعل الثورة ضد أبناء مدينتهن الظالمين الشيخ وجلاوزته، ليكن هن جيش التحرير الذي تشعب بأفكاره الثورية من الآخر، بحيث: " لم يمنعهن من تعاطي العشق الولهان مع عشيقهن الفريد، بوجبل، الفحل الذي أنجب أجيالا هن الوريثات الشرعيات لها بعد أن نجون بنشة قدر من الرماح الباقرة خلال تلك الحقبة الحالكة من تاريخ الجلاء" ³. حيث أن الآخر بوجبل هو الأب الروحي للثورة ولهن، فقد كان رمزا للعطاء والتضحية وحب الوطن، وما كان عشقهن له إلا من عشقهن لوطنهن/مدينتهن، وقد كان الآخر بوجبل يبادلهن نفس المحبة والعشق حيث كان عاقدا كل آماله عليهن في تحرير مدينته من أيادي الطغاة الشيخ وجلاوزته.

¹ المصدر السابق ، ص20.

² نفسه ، ص20-21.

³ نفسه ، ص200.

كما تتوضح هذه العلاقة بين الأنا الأنثوية وهن نساء المدينة وبناتها، والآخر الذكوري الرسام برهان أو كما يلقبونه أبناء مدينته بـ"الساھي"، حيث كانت العلاقة علاقة فن وافتتان، وهو الآخر الرسام ذو الريشة الذهبية التي أشعل بلوحاته الثورية نار التمرد والغيرة على الوطن في نفوس الأنا الأنثوية، إذ وجهت بعض لوحاته إليهن وعبرت عن رفضهن الواقع، وتمردهن عليه باندلاع الثورة، إذ "أنهن ما أن نضجن بعد تشبعهن بسيرة جميلة المجنونة وعشيقها الرسام الثائر، حتى اعتبرن من الحرام أن يمسن أحد الجبناء. وكأمهاتهن، ولعن برجل غريب غائب. لا فحل في حياتهن إلا هو رسام المدينة وخالق حلمها المقبل بألوان كُنَّ رموزها الفتاحة لعوالم الغد المعجج بعواصف التغيير الحلمي"¹. وهذا هو الآخر الذكوري الذي عوّل على بنات المدينة/الوطن في استرداد عزها، ومكانتها، وتحريرها من أيدي الطغاة، وتحقيق حلمه في بناء مدينة جديدة زاهية كما في لوحاته الفنية.

2-3/ علاقة صدام وعدم التوافق

تكون هذه العلاقة بين الأنا الأنثى جميلة الناجحة والآخر الذكوري إخوتها الفاشلين، حيث أن جميلة نجحت في دراستها وأصبحت مهندسة معمارية محترفة، وفشل إخوتها الأربعة في ذلك، فيقول الراوي " أنت الوحيدة التي نجحت في دراستك وتخرجت لتتوظفي فتعيلي الأم الثكلى والإخوة الضائعين. لكأنك كنت تريدين تحقيق أمنيته، حبه للجمال حين سماك جميلة، أجمل ما خلف، إذ خابت باقي توقعاته"². وهنا تقبع الأنا الأنثى في قمة سلم النجاح، وهي التي ستعيل الأسرة، وتكون مسارا مهنيا، وبالتالي النجاح على جميع الأصعدة، وهذا ما تمناه والدها بوجبل، وافتخر بهذا النجاح، على عكس إخوتها، فيسرد الراوي " أنت تذكرين إذن كيف فشل الإخوة الأربعة ، فضاع التوفيق، وتخدش الجمال وانسلخ عز الدين وتعربد الحميد لا توفيق ولا جمال ولا عز الدين ولا حميد، لا أحد وقف

¹ المصدر السابق، ص200.

² نفسه، ص45.

جنبك يا جميلة"¹، لم تكن لها مساندة من قبل الآخر الذكوري في مجتمع ينصاع للذكر ويهين الأنثى، ورغم ذلك لم تيأس، بل حاولت قدر المستطاع الوصول إلى مبتغاها وتحقيق حلم والدها " فرحت أنت وحدك كالنسيج المنفرد تقاومين رياح الحياة العاتية محاولة عبثا إخماد الزوابع الآتية. وحدك، لا غير، رحت تحلمين بالوصول إلى أمنية الأب"².

لا غرو أن المجتمع الجزائري آنذاك يؤمن بأن الرجل يجب أن يكون في صدارة كل شيء، وفي جميع المجالات، وأن المرأة مكانها في البيت فقط دون مشاركة منها في التطور وأنشطة المجتمع، فهنا كان العكس إذ اختلت منظومة المفاهيم للأنوثة والذكورة، فالآخر الذكوري وهم إختوتها المعول عليهم في رفع راية تدشين الوطن وإلحاقه بالركب الحضاري بعد الاستقلال، قد خابوا وخيبوا آمال والدهم بوجبل، على غرار الأنا الأنثوية التي واصلت كفاحها وأصبحت من أهم إطارات مدينتها، وساهمت في تدشينها وتطويرها.

2-4/ علاقة نضال وكفاح

تتوضح هذه العلاقة بين الأنا الأنثى جميلة والآخر الذكوري الشيخ وجلاوزته، فجميلة هي وطنية ثائرة ضد نظام حكم الشيخ وجلاوزته، وهي ابنة الثائر بوجبل عدوهم اللدود وموقد الثورة في المدينة، والأنا الأنثى ما هي إلا انعكاس له " أنت صورة عن الأب الذي اعتبر أن الحروب لم تنته، بل إن الحياة ليست إلا حربا دائمة وصراعا دؤوبا بين قوى الخير وقوى الشر وإلا ما كانت"³.

إن محاربة الأنا الأنثى جميلة من قبل الآخر الذكوري الشيخ وجلاوزته واستضعافهم لها واتهامها بالجنون حتى لا تكمل مسيرة والدها في التحرر بقولهم " أنت مجنونة، وهل كان أبوك إلا مجنونا بالثورة على أولئك الذين تبدلوا أو بالأحرى كانوا يبيتون للأمر مذ تبنينهم

¹ المصدر السابق، ص46.

² نفسه، ص46.

³ نفسه، ص45.

قضية تحرير المدينة من الغزاة لا شيء إلا للاستيلاء عليها هم بالذات خلفا للمستعمرين الأجانب " ¹ .

تبرز هذه العلاقة بين الأنا والأنثى وهن نساء الثورة (بنات المدينة)، والآخر الذكوري الشيخ وجلاوزته، وهن اللواتي يحملن مشعل الثورة ضد الآخر الغاشم، ليكن هن جيش التحرير المنتظر، إذ " من الجبل سينحدرن ومن البحر سينبجسن زاحفات على أسوار المدينة وحامياتها وحصونها حتى إذا التقين نسفن هذا الزمن الغاشم مفجرات ينابيع رقاقة تغسل المدينة وتغسلها إلى أن تخرجها في صورة رائعة، لا مكان للقبج في شوارعها ومبانيها وساحاتها " ² .

تعتلي الأنا الأنثى سلم الثورة وقيادتها من أجل تحرير مدينتهن، دون مساندة الرجال خطأ إذ يعتقد الرجال أنهم ثوار الزمن مغفلين في غرورهم دورهن الحاسم، خاصة وقد نضجن اليوم وصممن على أن يكن رمح الثورة القادمة " ³ .

إن الأنا الأنثى مشبعة بروح النضال والكفاح ضد الآخر الذكوري وإخراجه من مدينتها، وطمس كل آثاره. " إنهن كوريثات لبوادر هذا الرفض لن يقفن عند عتبة الصمت فحسب وإنما سينسفنهن لينبلج عن عالم جديد سيكن سلطاناته " ⁴ .

3/ الأنا (الهو) المستقبل/الآخر الواقع

جسد "هو" عنوان الفصل الرابع من فصول الرواية، وهو فصل استشرافي بامتياز إذ عبر ضمير "هو" -الذي هو "الأنا"- عن ابن "جميلة" ابنة "بوجبل"، اليتيم الذي توفيت أمه المهندسة المعمارية عند ولادته، وتوفي أبوه الرسام مغتالا من طرف حكام المدينة وهم

¹ المصدر السابق، ص 47-48.

² المصدر نفسه، ص 206.

³ نفسه ، ص 206.

⁴ نفسه، ص 206.

جلاوزة الشيخ، وقد احترف مهنة أمه، فهو مهندس معماري محترف، إذ كانت تحلم أمه وعائلته أجمع بمدينة جديدة تبنى على أسس قوية، تدفع بها إلى الأمام. " ما كان الخيال يلح علينا لإيجاد منفذ لعالم يبقى على الدوام مستحيل البلوغ كتلك المدينة التي رسمت أمه مخططها الغريب مورثة إياه هو عبء وضع الأسس الأولى لبنائها من... لاشيء، بلى من... الملف الضخم المعقد المدسوس في صندوقه الذي لا تتي يده تتلمس أطرافه خشية فقدانه"¹. ويرمز " الهو" إلى الشباب الجزائري المستقبل الذي استلم مشعل النهوض بالوطن من طرف أجداده الشهداء (الذين تمثلوا في جده بوجبل، والد الرسام) والمجاهدين (والدته جميلة، وجدته الجوهر)، فكان إصرار الابن على العمل لبناء مدينة جديدة وكذا رسم معالم النهضة والالتحاق بالركب الحضاري، ودعس كل مقومات الخيانة والخذلان التي عاشتها عائلته من طرف حكام المدينة. إذ " هو المقبل على اختراع نار جديدة قد لا تشبه البتة تلك التي أوقدها جده الأول فجده الثاني فأبوه فأمه دون أن يتمكنوا من رؤية ما أحرقته وما سمدته برمادها "².

جعل الهدف السامي الذي خطه "الأنا المستقبلي" ورسمته له عائلته قبل ذلك، مهمة صعبة المنال، كالطريق الطويل والمتعرج الذي صادفه عند محاولته مغادرة القرية تحت سفح الجبل القاطن بها إلى المدينة، ليستطلع عنها وعن أرجائها وبيوتها، ويختار أرض البناء، ف " المخطط العمراني للمدينة الآتية تلك التي جاء هو للبحث عن الأرضية التي ستبني عليها ولو تطلب منه الأمر دك صوامع وقصور هذه المتبرنسة تحت نظراته الساعة وقد راح يقترب من بابها العالي المواجه للجبل في تودة، مبطنا سرعة دراجته النارية حتى يتسنى له، على الأقل، الاكتشاف الأولي لتمصرن أزقتها وتسلحف بيوتها "³.

¹ المصدر السابق، ص 65-66.

² المصدر نفسه ، ص 68.

³ نفسه ، ص 70.

إذن فـ "الهو" أو "الأنا المستقبلي أو الاستشرافي" في الرواية يطمح لبناء جزائر جديدة وعلى أنقاض الجزائر القديمة، كما هو الحال الآن، فالمدينة المتبرنسة (كناية عن حكامها الشيوخ الذين يلبسون البرنوس) والتمصرنة (أبنائها في صراع دائم وهم من جلد واحدة كما هي الأحشاء تتصارع في البطن الواحد)، الواقعة تحت "الآخر الواقعي" حكم الشيوخ الظالمين. ستصبح في مهب الريح ليعاد تشييدها وبنائها وفق مخطط هيكلي تطوري جديد يعيد لها مجدها، ويفرح بها الأجداد.

4/ الأنا الضحية (نحن)/الآخر المتهم (أنتم)

تتمثل الأنا الضحية في أبناء بوجبل وآخرون المسجونين من قبل الآخر المتهم الشيخ وجلوزته، حين اتهموهم باطلا بقتل رسام المدينة المعروف بالساهي عندهم، " هذه ثماني عشرة سنة خلت، أن حبسنا كفيل بإخماد الغضب الذي أثاره يومها قتل برهان الرسام، بينما لم نكن نحن نعلم حتى إذا كان في حيننا الشعبي الفقير رسام أراد تغيير وجه المدينة"¹. فكان حضور ثنائية الأنا/الآخر متمثلا في ثنائية الضحية/المتهم، إذ كان هدف الآخر من سجنهم (الأنا) هو القضاء على نار الثورة وإخمادها، بالقضاء على أبناء بوجبل وصهره الرسام برهان. فقاموا باغتياله مثلما اغتالوا بوجبل وبنفس الطريقة. ثم لفقوا التهمة للأنا الضحية أبناء بوجبل الأربعة، فزجهم في السجن إذ الآخر هو الحاكم وهو المحكمة.

ثانيا: الفضاء المكاني بين جدلية الأنا والآخر

يزخر المكان أو الفضاء الجغرافي/ المكاني في رواية "حمائم الشفق" بمجموعة من ثنائيات الأنا/الآخر، التي استحضرت فيها الماضي والحاضر، فحملت العديد من المعاني.

¹ المصدر السابق، ص 90.

1/ الأنا البر/الآخر البحر

تتجلى ثنائية الأنا/الآخر في صورة مكانية تسبح في فضاء طوباوي يحمل الكثير من المآسي والأحزان، هذا الفضاء الجغرافي/ المكاني تمثل في الأنا وهي المدينة كمنطقة بر، والآخر في المحتل الفرنسي كمنطقة بحر، إذ تصدت الأنا للآخر وصمدت في وجهه، "تلك الروح الغنيدة الجموح التي عرفت بها على مر العصور العسيرة هي التي خلقت بصمودها الدهري أسطورة المناعة فلم تثنها القذائف المتساقطة عليها من عرض البحر، خلال تلك الحملات الشمالية المتوالية بلا طائل من عصر إلى عصر كما لم تنخر أسوارها العتيقة لطمات الأمواج العاتية وهي لا تني تندفع ناحية أقدامها بلا جدوى"¹.

لقد كانت المدينة طيلة خمسة قرون صامدة في وجه المحتل الذي جاءها من عرض البحر، وما ورائه. كيف لا وهي المدينة العتيقة المتجذرة بدماء أبطالها وروح الكفاح في أبنائها. فالمدينة رمز الكفاح والنضال في وجه كل غاز سواء بحريا أو بريا.

تمثل الأنا/الآخر في صورة البر/البحر، البر الذي انحصر في المدينة العتيقة، والبحر الذي مثل العدو، إذ أن جميع الغزوات أتت عن طريق البحر فأصبح هو العدو، فالبر هو البلاد التي أتى العدو(البحر) لاستعمارها واستعمارها، فعلاقتهم علاقة عداوة وبغضاء وحذر.

2/ الأنا (المدينة)/الآخر الغازي (الجبيل)

تتوالى الأيام ويعيد زمن الاستعمار نفسه على المدينة (الأنا) التي تقف في مجابهته، لكن الغازي هذه المرة لم يكن من البحر، بل كان من نفس تربتها وطينتها، بل كان جزءا منها، تصدع عنها وانشق، ولم يتوانى لحظة في غدرها ومحاربتها، هو الآخر الجبل، هذا الأخير الذي كان ظهرها الذي تسند إليه، إذ اندلعت ثورة التحرير الكبرى من أعالي الجبال،

¹ المصدر السابق ، ص81.

الفصل الثاني تجليات صراع الأنا والآخر رواية "حمائم الشفق" للروائي "جيلالي خلاص"

وكانت ملاذا للمجاهدين في وجه الطغيان، لكن هذا الآخر (الجبل) أصبح هو العدو، ووكرا للخائنين، فكان هو الخطر الأكبر على المدينة، إذ أن "في ذلك الصيف تعرضت المدينة لأبشع غزو عرفته في تاريخها الطويل الدامي، إذ رغم تعود أسوارها وسطوحها وأزقتها على مساقط القذائف والقنابل المفرقة لم تكد تصدق، هي التي ألقت الغارات البحرية، أن تهاجم من البر، سيما وقد كانت تعتقد أن الجبل يحميها في حضنه من عواصف الصحراء النائية"¹. فلا شيء أصعب في الحروب من التناحرات الأخوية (بين الإخوة من رحم واحد) والحروب الأهلية، التي يتصارع فيها بنو البلد الواحد، حيث يموتون فيها من كلا الطرفين، ويدفنون في نفس المكان ونفس المقبرة، إذ تضيف هذه الحرب عن "خنادق لن تكفي بردمها جثث أبنائها البررة كافة. وبالفعل، لم تنبثق أولى أعشاب الربيع الغضة من الحقائق الناجية من الدمار، حتى كانت المدينة تلفظ أنفاسها الأخيرة تحت هدير تمرد كاسح منحدر من فوهة بركان خفي في ذروة الجبل الذي ارتج من أصله دافعا بحمم الغضب الشعبي إلى قعر المدينة، كاسرا في طريقه السور الذي كان يبني لتقسيم أحياء المدينة ومقتحما قصور الأثرياء الوصوليين لإنقاذ آخر الأحلام المجهضة"².

3/ الأنا السجن/ الآخر المدينة

يمثل الأنا فضاء السجن أو الحبس وهو مجموعة من الزنزانات الجماعية والمنفردة، تكون محدودة المساحة، ولا تتوفر على أبسط أمور المعيشة الاجتماعية، وهو معد خصيصا للأشخاص الذين خالفوا قوانين دولتهم وحكومتهم، ويكونون مقيمين فيه إجباريا، إذ يتسم هذا الفضاء بالانغلاق وتقويض الحريات، يتم الانتقال فيه من الخارج إلى الداخل.

اعتبرت السجون عقابا لكل من سولت له نفسه أن يتخذ من حرية التعبير سبيلا. ولذا امتلأت السجون بالأبرياء قبل المذنبين. كما في حال روايتنا "حمائم الشفق" في الفصل

¹ المصدر السابق، ص74.

² المصدر نفسه ، ص83.

السادس المعنون بـ"نحن" وهم مجموعة من الشباب ممثلين في أبناء بوجبل وآخرون، اتهموا باطلا بقتل رسام المدينة الوحيد، وسرقة لوحاته وبيعها خارج البلاد. واتهموا أيضا على أنهم "عصابة متورطة في مؤامرة امبريالية بالتنسيق مع عصابة دولية تهدف إلى النيل من سياسة المشيخة في مرحلة أولى وتطمح إلى اغتيال الشيخ الأكبر في مرحلة ثانية"¹. ليس الهدف من جريمتهم السرقة والقتل فقط-حسب محاكمتهم من قبل محكمة المشيخة-، بل كان هدفهم الأكبر محاولة القضاء على النظام القائم في المدينة مع الاتفاق مع الإجرام الخارجي، وهذا ما يسمى بالإرهاب الدولي، فيقولون بأنهم "مجرمون إذن ولا مفر من التوقيع على محاضر اتهامنا بقتل الرسام الكبير، وسرقة لوحاته الشهيرة قصد تهريبها إلى الخارج لبيعها... فتوظيف الأموال المجناة في مشاريع مشتركة مع العصابة التي ترمي إلى اغتيال الشيخ الأكبر وتغيير نظام المشيخة"². لذلك كانت مدة حكمهم طويلة قيست بثمانية عشر عاما، وهي ليست بالمدة الهينة، فقد دخلوا هؤلاء الشباب وأعمارهم لم تتجاوز الخامسة والعشرين من العمر، وخرجوا وهم في الأربعين. لكنهم تعلموا الكثير في السجن، وكيف لا ندفاً نحن الذين تعلمنا السياسة في السجن، فعرفنا أن الوطن هو ذلك الهواء العليل الذي ينعش الرئات حتى إذا عكر صفوه غبار ما ملوحت بالاختناق في الأفق، قامت الرئات مثلما قامت المدينة بأسرها، للذود عن الوجود وحق البقاء في الحياة مهما تكاثفت الأتربة محاولة عبثا سد حواس التنفس"³. ، لقد عرفوا قيمة مدينتهم ووطنهم، وإن يكن هم الشباب الطائش الذي ليس له هدف في الحياة، يجول الشوارع بلا أمل، لكنهم في السجن تعلموا أن الوطن ليس للبيع.

كانت مدة حكمهم كافية لجعل السجن هو بيتهم، مدينتهم، فوطنهم، إذ السجن هو عالمهم الذي يحيون فيه، فيقولون "غير أنه إن كانت أجسادنا قد تهاوت يومها، فإن عقولنا

¹ المصدر السابق، ص92.

² المصدر نفسه ، ص92.

³ نفسه ، ص89-90.

قد ازدادت قوة واستتارة إلى درجة أن صدقنا المثبت لبراءتنا يومها لم يتزعزع البتة، وإنما تدعم بدروس جديدة، لم يكن لحياتنا معنى، مهما عشنا، لو لم نتلقها على أيدي أولئك الذين اعتقدوا أنهم قضوا علينا بينما الحقيقة، التي اكتشفناها فيما بعد، بينت لنا أنهم أحيونا، بل أننا لم نكن أحياء قبل أن يدخلونا السجن"¹ ، فالسجن بمفهومه المغلق أصبح مكانا للحياة، والحلم، والأمل، مكانا انفتحت فيه مغاليق قلوبهم وعقولهم، وتفتحت أفكارهم على الحرية، وصنع وطن حلم، يجمع كل ما يحلمون به من عيشة راضية مرضية، في ظل الأمان والاستقرار. إذن السجن عندهم هو مكان الخلاص، وفضاء الحياة أما قبله فكانوا أموات، فالمدينة أصبحت عندهم مكانهم المغلق خاصة في ظل نظام المشيخة، مدينة متهاوية في عمرانها وظروفها وحتى سكانها الخانعين لهذا الحكم الجائر-الأغلبية منهم- ، ففضاء الأنا (السجن) المفتوح، التي جعلت من أحلامهم تكبر شيئا فشيئا، جعلت من الآخر (المدينة) فضاء مغلقا، يصغر أمامهم، في حين يحلمون بآخر (مدينة جديدة) أفضل من آخرهم (مدينتهم الحالية).

4/ المدينة (هي) الواقع/ المدينة الحلم

تمثل الأنا في المدينة التي تعاقبت عليها الحروب طيلة خمسة قرون، وبقيت صامدة، لكن هذه الحروب خلفت آثارا فيها، تمثلت في الجراح التي لن تتدمل مع مرور الوقت، وتغيير في عمرانها إثر هبوط القذائف وما ينجر عن الصراعات الدامية في أرضها، حتى أصبحت متهاوية الجدران، حتى " حين أقبل الخريف الهدام برماله وعواصفه وتمرده العارم، حاولت المدينة عبثا الصمود مرتكزة على أسسها المنخورة المتثاقبة ومستندة إلى أسوارها المتهاوية المتهاودة"² ، لكن الحرب التي زعزعتها هي حربها مع نفسها وأبنائها الذين لم يتوانوا لحظة في هدم مبانيها وإعادة بنائها وفق ما أرادوا، فبنوا لنفوسهم بيوتا وقصورا فخمة،

¹ المصدر السابق، ص 95.

² المصدر نفسه، ص 77.

الفصل الثاني تجليات صراع الأنا والآخر رواية "حمام الشفق" للروائي "جيلالي خلاص"

وبقي الفقراء في بيوتهم الرثة، فأصبحت أبنية المدينة عشوائية وفوضوية، "لكن التناقض المتفح في قروحها الطبقيّة سرعان ما انفجر وديانا غاضبة فاضت على عمرانها فجرفته طامية قصوره الفخمة في الوحل النتن لشدة ما تخمر في القلوب المكبوتة المطرودة من حاراتها وملاعبها غدرا ونكرانا ونكلة"¹، حيث أن أجواء الخريف فقط جعل المدينة تعاني وتتهاوى أبنيتها، إذ "تهدوت المدينة متزلزلة من حيها العالي حيث كانت تتركز قصور الشيخ الأكبر وضباطه بحدائق فواحة تتوسطها فوارات ساحرة من الرخام الأبيض والأحمر وتحيط بها أسوار عالية مغطاة جدرانها بالفسيفساء ومزينة أبوابها بالأقواس والسواري الرخامية والأروقة (الزليجية) المؤدية إلى المضاجع المخملية حيث كانت أحلام المدينة تغتال كل ليلة"².

إن حال الأنا المدني الواقعي والمزري والمتهاوي، جعل من كل أحبة هذه المدينة العريقة الصامدة في وجه كل طغيان، أن يرفضوا واقع ما آلت إليه، وأن يحاولوا أن يرسموا لها غدا أفضل، مدينة جديدة، مدينة هي الحلم (الآخر) بالنسبة إليهم، إذ "كانت المدينة تنتظر بالفعل، إثر تلك الأحداث الدامية، نفسا نقيا قد يكنس ما علق بشوارعها وعماراتها وأسوارها من غبار الدمار والخراب. تفاعلت هي التي كانت دوما على موعد مع الأيام المنحوسة، وهل بعد الكربة إلا الفرج"³. في ظل هذه الظروف القاهرة، كان في قلوب ساكنيها بصيص أمل يلوح في الأفق البعيد القريب، يحلم بمدينة تزدهر بمبانيها وشوارعها، ويلعب أطفالهم في ملاعبها، وينعمون بالحياة في أمن وأمان واستقرار دائم، "ومع اشتداد الحر قبيل موسم الحصاد، كانت المدينة تتأهب لاستقبال أسطورة جديدة قد تمحو كافة الأساطير الغابرة"⁴. فالأسطورة الجديدة هو ابن جميلة المهندس المعماري الذي تشبع بروح التعبير من جدته

¹ المصدر السابق، ص 77.

² المصدر نفسه، ص 77-78.

³ نفسه، ص 85.

⁴ نفسه، ص 86.

الفصل الثاني تجليات صراع الأنا والآخر رواية "حمام الشفق" للروائي "جيلالي خلاص"

الجوهر وورثه عن جده بوجبل في فكره وعن أبيه في لوحاته وعن ووالدته في مخططها العمراني للمدينة الجديدة الذي بحوزته، وهكذا هبت على المدينة ريح التغيير والتجديد، والتي ستمحو كل آثار الأساطين التي احتلت أرضها دونما هودة.

إن المدينة الجديدة أو المدينة الحلم (الآخر)، هي التي ستزعزع نظام المشيخة، وتلوح بأحلامهم إلى أسفل السافلين، فتدحض أمانيتهم، لذلك سعى حكامها إلى إجهاض كل بادرة من بوادرها، حتى الأحلام اغتيلت وهذا ما حدث بالفعل لكل من بوجبل والرسام وجميلة، حيث "أن الرسام (ولد الحومة) كان يصور في لوحاته (ما أجمل ألوانها، سيما ذلك اللون الطحلي الداكن الخضرة كعيني جميلة، جميلته، أجمل امرأة دخلت حومتنا) المدينة الجديدة التي ستبنى على أنقاض مدينتنا المتهالكة"¹. فالرسام اغتيل لأنه رسم في لوحاته الفنية بريشته الذهبية وألوانه الزاهية، مدينته الحلم، مدينته التي لا أثر فيها لنظام المشيخة ولا حكامها الطغاة، مدينة بلا طغيان، مدينة بلا طبقية جائرة، مدينة تنتظم فيها بناياتها وعماراتها وتزهى بألوان جميلة تعبر عن مدى عصرنتها وطيب أصالتها. فتحتوي على "شوارع فسيحة مخملية وحدائق فواحة يتلوى أريجها صاعدا شواهد العمارات وهي تحتضن في دفنها الأنثوي الرؤوم أجنة الغد المشرق بألوانه الفاتحة المفتحة لأمل طالما تمناه فقراء حيكما في الليالي المظلمة"².

ولا غرو أن جميلة لم تتوانى لحظة في تجسيد الحلم واقعا، لذلك هندست تصاميم مدينتها الحلم، ووضعت لها مخططات عمرانية، رسمت فيها الشوارع والبنايات والعمارات بشكل منظم، كأنه لوحة فنية، وكيف لا، وهي التي اتحدت جسدا وروحا مع زوجها الرسام، حتى في الحلم اتحدا مع بعضهما البعض، ف"في رسم الحلم خيوطا تتربط تارة وتتفرع تارة أخرى. بانية أمانى لو علموا هم بأنكما تأملانها لهم لالتفوا حولكما مبجلين في ساحرية

¹ المصدر السابق، ص 96.

² المصدر نفسه، ص 108.

ألوان لوحاتكما غير مصدقين أن يمكن للحلم أن يصور ثم تبعث فيه الروح فإذا هو يتململ متثائبا وقد دبّت في شرايينه دماء الحياة التي سرعان ما ترفع رايته خفاقة حتى زرقة السماء المتعالية إلى ما وراء غياهب الكون"¹ . إذن فالحلم لم يبق له إلا التجسيد الفعلي على أنقاض واقع المدينة الآني(الأنا)، وهذا ما أرادته **جميلة**، إلا أن يد القدر كانت أولا، فنالتها المنية عند ولادة ابنها المهندس إثر مضاعفات الولادة، وحمل هو مشعل بناء المدينة الحلم.

لقد اتحد الرسم والهندسة المعمارية في رسم مخطط للمدينة الحلم، وذلك بفضل أبنائها الذين يعشقونها، ويريدون لها الأفضل، ف" **الفن التشكيلي وفن العمران والخيال يبدع في نهاية الأفق مدينة حلم قد لا يستحيل على أمثالكما تجسيده**"² . فاستطاع الفن في هذه الرواية أن يقف حائلا ضد الظلم والطغيان، وإن طال الزمن.

تتمظهر الأنا بين واقعين وحضورين، حضور الأنا المدينة في الواقع الحالي، الواقع المزري الذي حاول الرسام **برهان** أن يزينه بريشته ويضفي عليها ألوان فاتحة، هي ألوان الحب والأمل والأمان، أما زوجته **جميلة** التي هندست بخبرتها معالمها العمرانية في مخطط، ووالدها **بوجبل** الذي رسّخ في أبناء المدينة أفكاره الثورية وعشقه للمدينة وكيف يتمنى أن يراها مستقبلا، كلهم جُسد حلمهم في الأنا الثانية وهي المدينة الحلم التي اعتبرناها آخر، بحيث تسعى الأنا إلى تحقيق الآخر والوصول إليه.

ثالثا: الفضاء الزمني بين حضور الأنا /الآخر

ينحصر حضور الأنا والآخر وفق منظومة الزمن الروائي في الاستنكار والاستشراق وكذا في تعاقب فصول السنة(الصيف، الشتاء، الربيع، الخريف)، وكيفية صنع المفارقة فيها، وأيضا تجلي الليل /النهار في الرواية كان له الأثر البالغ في توليد دلالات النص .

¹ المصدر السابق، ص 108.

² المصدر نفسه، ص 108.

1/الأنا الماضي/ الآخر المستقبل

يمكن حضور المدينة بين (الأنا) الماضي و(الآخر) المستقبل، في وقوفها عبر العصور صامدة شامخة، في وجه الأعداء والأخطار التي تحاصرها، " وأي مدينة صمدت صمود مدينتكم لا سيما حين حاصرها ذات فجر مكفهر إمبراطور زمانه... وقد رست بعرض الميناء...خمس وسبعون قادسا وأربعمائة وواحد وخمسون سفينة..."¹. وهذا استعراض لطريقة الغزو الفرنسي عبر البحر، وتعداد جندهم وسفنهم، كان هذا قبل 132 سنة من الاحتلال، حيث كانت مدينة الجزائر العاصمة زاهية بعبق أصالتها سواء تطورها ثقافيا وحضاريا، واجتماعيا وسياسيا، ومن قبلها الحملات الصليبية وغيرها من الحروب التي سبقتها، حيث منذ ذلك الحين والمدينة تعاني من الاستعمار والغزوات والحملات والحروب، لذلك أصبحت دائما مستعدة لها: "وكعادة المدينة، عند شعورها بالخطر المحدق، راحت تتحسس أسس أسوارها، خاصة تلك التحصينات المرصوفة على ساحل البحر، خشية أن تكون العاصفة إحدى حيل الخداع الحربية، إذ كثيرا ما تعرضت المدينة للقنبلة تحت ستار الليل أو في غبش الفجر"².

نجد أن استحضار الماضي له أثره البليغ في النص الروائي، والإبحار في الذاكرة والغوص في أعماقها، يجعلنا حاضرين في ماض لم نشهد أحداثه، فالغزو الفرنسي في 1830م على الجزائر وبالضبط في عاصمتها؛ في ميناء سيدي فرج حيث يقع غرب المدينة: "نزل الغزاة غربي المدينة في تلك الفجوة التي لا طالما حذرتم الشيخ وعسكره من مغبة إهمالها كذلك دون تحصين... بأعين دامعة يائسة رأيتم جيش الغزاة يعبث في أزقة المدينة ومنازلها وصوامعها حامياتها تخريبا وتدميرا"³. لقد عثا العدو في المدينة فسادا.

¹ المصدر السابق، ص 153.

² المصدر نفسه، ص 75.

³ نفسه، ص 160.

بعد استقلال المدينة من عدوها الذي باغتها من البحر، لم تكن تدري أن عدواً أشد خطراً من سابقه يتربص بها من الجبل، فكان هذا العدو كالقشة التي قسمت ظهر البعير، حيث كانت تقاوم التجلط الثلج لأقدامها بتلك الروح الغنيدة الجموح التي عرفت بها على مر العصور العسيرة... لكن الداء الذي تسلل هذه المرة إلى عمقها... لم يكن يشبه البتة ذلك الذي عانت منه في السابق وقهرته بمناعتها، إذ كانت الحملات صادرة عن عدو خارجي... لكن الداء استفحل هذه المرة في قلبها الهش كالشوكة السامة إذ تتسلل تحت الأظفر... فأين المفر إذ كانت الشوكة هي وخزة أظفره ذاته" ¹.

كان الأنا المديني على مدار خمسة قرون يحارب في وجه الطغيان الذي يريد استغلال خبراته بالقوة واضطهاد أهلها، فالمدينة في الماضي والحاضر كانت مدينة محاربة نخرت جدرانها من أثر المدافع والصواريخ، وتشربت أزقتها دماء أبناءها ودماء المستعمرين، مع ممارسة الطغيان أساليب القمع والتغيير على مستوى البنية التحتية والفوقية للمجتمع المديني، حتى أنها مارست سوء ذوقها في البناء والتشييد (بالنسبة للعدو الداخلي الشيخ وجلوزته). لذلك كانت الأنا المدينة الحاضرة تطمح للآخر المدينة الجديدة أو المدينة الحلم. وهذا ما يسمى استشرافاً، فالاستباق ببناء مدينة جديدة حلم بها كل من الرسام وجميلة، فالاستشراف هنا لزم الحلم، "رسام كبير حلم بتشديد مدينة مستحيلة وهو يلثم بفرشاته شفتي مهندسة معمارية ترسبت في مقتلها طحالب جنون الولع بتخطيط الغيب؟" ². وهو مخطط مدينة الحلم التي سينشئونها. لكنهما لم يستطيعا ذلك، إذ طالتهما يد الغدر والقدر، فالرسام اختطف وقتل، أما جميلة توفيت إثر مضاعفات ولادتها العسيرة.

لعب الاسترجاع أو الاستنكار دوراً أساسياً في هذه الرواية، وذلك عبر سرد تاريخ مدينة الجزائر العاصمة لحقب زمنية متوالية، عادت بها الذاكرة إلى الوراء، إلى أيام نحس كانت

¹ المصدر السابق، ص 81-82.

² نفسه، ص 57.

الفصل الثاني تجليات صراع الأنا والآخر رواية "حمام الشفق" للروائي "جيلالي خلاص"

تعاني فيها المدينة من أشد أنواع الظلم والاضطهاد، وها هو الراوي يستذكر حادثة اغتيال بوجبل، ويؤكد على أن ابنته شهدت "الآن وقد انقضى كل شيء فإنك لتذكرين الحادثة بكل تفاصيلها... وإذ تتذكرين فأنت مازلت واعية وعي أبيك الحاد حين رفض أن ينظم للمشixe¹". كما نجد الاستذكار في استحضار جميلة لصورة زوجها وعشيقها في عقلها والتقاءها به "فإذا أنت تستحضرين صورته وقد حدثته لأول مرة، في تلك الصبيحة الربيعية... حين حضرت إلى العمل مبكرا قبل باقي الزملاء فوجدت مغلقا مكتب الدراسات حين كنت تعملين كمهندسة مشاريع العمران..."².

كل هذه الاستذكارات تخدم البناء الروائي بانشغال الذات القارئة بالعودة للتاريخ ومحاورته، وحتى مساءلته، واستحضاره ليقف شاهدا على ما يحصل الآن.

نذكر أيضا بعض الاستباقات التي تتحقق فيما بعد، كالتى قفزت إلى ذهن الرسام عندما رسم لوحته الفنية الشهيرة للمدينة الحلم المعنونة بـ "صبح الخلاص"، وعلم في نفسه أن هذه اللوحة ستجلب له الفناء والموت، ولكنه لم يبالي في سبيل قضيته، وعشقه لمدينته "أكنت تريد أن تصل قبل الألوان إلى العالم الآخر المرهب المرعب أم كنت تعد نفسك لذلك اليوم الذي يأتونك فيه كما تنبأت بحدسك الذي لم يخيب ظنك يوما"³.

يتحقق الاستباق والاستشراق فيما بعد، باغتيال الرسام، إذ كان ينتظرهم (جلوزة الشيخ) "وإذ أتوكما في تلك الليلة بينما كنتما تترنمان معا بالحن الصادح... إذ أتوكما لم يفاجئوكما، هو الأول الذي كان ينتظرهم منذ أن رسم لوحته الرائعة"⁴. وعليه مراوحة الأنا المدينة بين الاستذكار والاستشراق، يجعل من الأنا الماضي يطمح إلى أن يصبح الآخر أفضل مستقبلا.

¹ المصدر السابق ، ص 44.

² المصدر نفسه ، ص 48.

³ نفسه، ص 34.

⁴ نفسه، ص 42.

2/الأنا الصيف/ الآخر الشتاء

تخضع جدلية الأنا/الآخر إلى قوة الزمن، حيث تتجلى في تعاقب فصول السنة(الصيف، الشتاء، الربيع، الخريف) على المدينة، وما آلت إليه أوضاعها إثرهم، فهذه تجابه شرارة الحر التي لم تكن بعيدة عن نيران الحروب في فصل الصيف، فكان صيفا ساخنا قيصا " والواقع، أن المدينة ما تزال تذكر ذلك العام الأصفر الذي فاجأها صيفه الحار بعجاج الجراد تلك، فإذا السماء تتذهب على حين غرة، وقت القيلولة في أحد الأيام القيصية بينما الكتلة العمرانية ترسو على سفح الجبل الداكن"¹. وكان هذا الصيف من شدة حرارته، ابتليت المدينة بالجراد، فكان عام الجراد هذا متعبا، كما أنها في ذات العام، وذات الصيف جابهت المدينة أبشع استعمار لها، فكانت نيران القذائف تنتشر في المدينة "في ذلك الصيف، تعرضت المدينة لأبشع غزو عرفته في تاريخها الطويل الدامي"².

كان الشتاء حاضرا في الرواية، وتشهد قساوته على المدينة وأهلها، غير أنه هذه المرة كان كالماء الثجاج الذي يثلج الصدور بعد معاناتها مع نيران الحرب التي لا تزال قائمة، كما أنها غسلت شوارع المدينة " حين أقبل شتاء ذلك العام، استقبلته المدينة، على غير عاداتها بحبور متفحم لم يخف النار الحائلة في صلبها، تماما كعانس تحتضن زبونا غاليا"³.

فالشتاء رغم برده القارص إلى أنه كان مثلجا على صدور أهل المدينة فاغتسلت من براثن الحرب المفجعة، رغم الجوع والفقر والبيوت المهترئة. لكنه كان صيبا نافعا إن شاء الله لها.

كان حضور المدينة بين جدلية الأنا الصيف/ الآخر الشتاء واقعا لا بد منه، غير أن هذه الفصول صنعت المفارقة في طلتها على المدينة، حيث أن الصيف هو الفصل المبتهج

¹ المصدر السابق، ص 73.

² نفسه، ص 74.

³ نفسه، ص 80.

الفصل الثاني تجليات صراع الأنا والآخر رواية "حمام الشفق" للروائي "جيلالي خلاص"

المزين بأشعة الشمس الذهبية وسمائه الصافية وبرودة ماء بحره، فهو المعروف بفصل الراحة والاستجمام، كان فصلا غير عادته إذ تَقَيَّضَ حرا، واشتأظ نيرانا حربية، زعزعت كيان المدينة وأرقت راحتها القصيرة من مجابهة الطغيان، أما فصل الشتاء المعروف ببرده القارص وهطول ثلوجه وأمطاره، كان فصلا منقذا للمدينة من حرارة نيران الحروب.

3/ الأنا الليل/ الآخر النهار

تمركزت ثنائية الأنا /الآخر في هذه الرواية حول تجليات الليل/النهار، حيث كانت لهذه الثنائية مفارقة دلالية للنص الروائي، بحيث الأنا الذي تمثل في الليل هو ظلمات الجهل والأمية والخنوع والرضوخ للطغيان المستبد، تلك الظلمة التي استولت على أغلبية سكان المدينة فجعلت ليلهم أطول بكثير من نهارهم، وهذه السياسة من الأساليب الجائرة الممارسة على سكان المدينة، لكن الرسام برهان وزوجته جميلة، كان يعلمان الهدف من هذه السياسة وباقي أهداف الشيخ الأكبر وجلاوزته، حيث كان "لا بد من أن يدلغا غرفتيهما، لكن بدلا أن يطاوعا النعاس، يروحان ينبشان بخنجر من فولاذ طيات الظلام المدلهم، لا بد من تحدي الليل، بل اقشاعه"¹؛ وهذا تحد وتصميمهم على الوقوف في وجه الطغيان باقشاع ليلهم والتخطيط لفجرهم ونهارهم، إذ "من المستحيل أن ينصاعا لمقولة الشيخ الأكبر التي ما فتئت أجهزة الإعلام تبثها هكذا: "جعل الليل للراحة" عبر كامل أرجاء المشيخة بيد أنهما يدركان أن لا راحة في الدنيا، سيما هذا الزمن العصيب"²؛ لقد قرر كل من الرسام وزوجته أن لا يمثلان لنظام الليل والنهار المختلق من قبل الشيخ وجلاوزته، بل وجب عليهما العمل لدحضه ووقفه، حيث "طغت الرداءة على كل شيء بسبب تولي الجلauزة

¹ المصدر السابق، ص 123.

² نفسه، ص 123.

الردئين مقاليد التسلط والاستبداد فإذا الرعية يعانون من العمى المفروض عليهم بسياسة تطويل الليل وتقصير النهار"¹.

يتجلى الآخر في النهار الذي يعمل عليه الرسام وزوجته في بزوغ فجره، محاولين بذلك بناء مدينتهم الجديدة على أنقاض مدينتهم القابعة في بحر ظلمات ليل الشيخ الأكبر وجلوزته، إذ أن "صورتها الحقيقية التي خلقها هما هي أن تبقى المدينة مضاعة دوما، الشيء الذي كانا يحاولان تحقيقه بمواجهة متاهات الظلمة بمصايبهما دون أن ينسيا أولئك البررة الذين سبقوهما حاملين شموع بصيص أمل، من قال أنه سيتوهج يوما مزيلا الليل بنشة كف غول تاق إلى الاستحمام بأشعة الشمس"². فإنبجاس الصبح عن ليل طويل مكفهر مبحر في غياهب الظلمات كان لابد من رجال ونساء مناضلين لأجل ذلك، كما كان الأجداد الأوائل في بعث الشررات الأولى لمصايب الحرية والاستقلال،

نستشف من خلال هذا الفصل، أن الرواية كانت غنية بتمظهرات الأنا/الآخر خاصة في مواطن الصراع حيث تجلت في ثنائيات توزعت على كامل فصول الرواية، كما تنوعت بين الفضاء المكاني والزمني للرواية وكذا شخوصها، فساهمت بشكل كبير في إبراز الدلالات وإنتاج المعنى.

¹ المصدر السابق ، ص 123.

² المصدر نفسه ، ص 80.

خاتمة

خاتمة:

يعد موضوع ثنائية الأنا/الآخر من المواضيع الهامة التي تستحضر في المتون الروائية، ذلك أنه يمكن لها أن تتشعب بالإيديولوجيات الضمنية والتي يحاول فيها الروائي/المبدع تمريرها عبر هذه الجدلية/الصراع القائمة بين الأنا والآخر، ونخلص إلى نتائج مهمة من دراستنا لها في رواية "حمائم الشفق" للروائي الجزائري جلالى خلاص:

- حضور ثنائية الأنا/الآخر عبر مستويات البناء الروائي وهي المراكز الثلاثة للرواية الشخصية والمكان والزمان، وتوزعت على كامل فصول الرواية.
- تمثل الأنا/الآخر في ثنائية المستعمر/المستعمر بوجهين اثنين هما: مواجهة الأنا وهي المدينة للآخر المستعمر الخارجي وهو الاحتلال الفرنسي، وبعد تحررها منه ونيل استقلالها واجهت وجهه الثاني الذي كان أشد بطشا وهو المستعمر الداخلي وتمثل في الإرهاب. فهما وجهان لعملة واحدة وهو الاستعمار.
- تجسد الأنا/الآخر في ثنائية الأنوثة/الذكورة هذه الثنائية التي تجلت في الرواية بصيغ مختلفة عن حضورها في روايات أخرى، حيث أن الأنثى هنا متفوقة وقوية وحاملة مشعل الاستقلال على عكس الذكر الذي جسد هنا ضعيفا وغير مسؤول ومستهتر، وتمثلت هذه الثنائية في الأنا جميلة والآخر إخوتها الأربعة.
- صورت ثنائية الأنوثة/الذكورة أيضا، المرأة (جميلة) وهي مناضلة وقوية ليس فقط أمام الرجل، بل أمام مستعمر حاول طمس مدينتها المعشوقة، فرسمت بذلك مخططات لمدينتها شامخة، وأنجبت ابنا جسد لها هذا الحلم. فارتسمت الأنا الأنثى قوية وقادرة وطموحة وشغوفة لتحقيق حلمها وحلم عائلتها.
- بروز الاستشراف في الرواية عبر ثنائية الأنوثة/الذكورة، حيث شجع البطل بوجبل ابنته على التعلم وريادة المجتمع نحو مستقبل زاهر، و نادى كل أنثى أن تخطو نحو النجاح للنهوض بمدينتهن إلى الأفضل، وإخبارهن بأن هذا الزمن هو الزمن الحقيقي.

- تمثل الصراع القائم بين الأنا/الآخر في الثنائية الأنا الوطني متمثلاً في بوجبل والآخر الخائن متمثلاً في الشيخ وجلاوزته، وهي الثنائية المحورية التي تدور حولها الأحداث، وكذا تتمركز حولها باقي الشخوص ويتبلور الصراع القائم بينهم.
- جسد الأنا/الآخر في ثنائية الضحية/المتهم، حيث برزت علاقة الخبث والحيلة والغفلة وحتى الغباء بينهما، حيث احتال (الآخر) جلاوزة الشيخ، على الأنا الضحية (أبناء بوجبل وآخرون) وأدخلهم السجن باتهامهم بهتاناً بقتل الرسام برهان.
- كما تجسدت الأنا/الآخر المدينة بين واقعها المرير والمزري إلى حلم مدينة جديدة زاهية آمنة، وجب عليها أن تتجسد في أرض الواقع.
- احتل الفضاء المكاني حضوراً بين الأنا والآخر، فنجد رواية "حائم الشفق" غنية بالفضاءات/الأفضية المغلقة والمفتوحة، لكن دلالاتها في النص قد تعكس معانيها. إذ أن فضاء المدينة مع كل من البحر والجبل، شكل ثنائيات تقابلية نشأت بينهما العداوة، فالأنا المدينة حارب الآخر البحر عبر العصور، فالبحر جئ مجسداً للمستعمر الفرنسي والذي قبله، لأنهم أتوا عن طريق البحر. أما الثنائية الثانية المدينة/الجبل وتتصاعد الصراع بينهم وهم ذوو تربة واحدة وأصل واحد. تمثل في الشعب الجزائري وصراعه مع الإرهاب وهم أبناء الوطن الواحد.
- الصراع قائم في ثنائية السجن/المدينة، بحيث أن الأنا السجن شكل فضاءً لإعادة ترويض النفس، وتووير العقل، فأصبح أبناء بوجبل واعين أكثر من ذي قبل، في مقابل الآخر المدينة التي كانوا فيها صياغاً مستهترين، لا يعلمون عن قضية وطنهم إلا النزر القليل.

- نجد تمثيلات الأنا والآخر في دينامية الزمن موجودا، في ثنائيات الماضي/المستقبل، خاصة فيما يتعلق بالمدينة، التي كافحت في الماضي العدو، إلى أن نخرت جدرانها وتشوه عمرانها، والطموح إلى بناء المدينة الحلم(الآخر المستقبل).
- حضور ثنائية الليل/والنهار التي توحى بأن المدينة تعيش في الظلام الدامس(الأنا) الذي احتل مساحة أكبر من النهار المضيء، والحلم بأن ينبجس الصباح على المدينة ويكون نهارها أطول من ليلها(الآخر النهار).
- وظف الروائي تعاقب الفصول الأربعة(الصيف، الشتاء، الربيع، الخريف) على المدينة بطريقة مميزة، إذ نجد حضور الأنا/الآخر في ثنائية الصيف/الشتاء.

وفي الأخير وبحكم أننا لا ندعي استيفاء الموضوع حقه من حيث الدراسة النابعة بحكم الأطر المنهجية للبحث، من جهة والأكاديمية من جهة أخرى، فإننا نوصي الباحثين الدارسين بتسليط الضوء على ظواهر فنية وأدبية أخرى مترامية في الخطاب الروائي الجزائري بصفة عامة المعاصر بصفة خاصة، وأن المتن الروائي الجزائري أنموذج يحتوي على زخم هائل من هذه الظواهر الأدبية الفنية.

تبقى هذه الدراسة حلقة تحتاج لحلقات أخرى حتى يكتمل صرح الموضوع المعالج(صراع الأنا والآخر في الخطاب الروائي الجزائري رواية "حمائم الشفق" للروائي الجزائري جلاي خلاص انموذجا) لهذا نوصي الدارسين/الباحثين في هذا المجال أن يستكملوا بدراساتهم ما أغفل هذا البحث/ الدراسة وما نقص فيها، وفي الختام نأمل أن نكون قد وفقنا ولو بالقليل في عملنا هذا و نكون قد وقفنا على محطات تخدم بحثنا عامة و الارتقاء بالبحث الأكاديمي خاصة.

والله ولي التوفيق.

ملحق

ملخص الرواية:

إن الرواية محل الدراسة المعنونة بـ "حمائم الشفق" للروائي الجزائري "جيلالي خلاص"، الصادرة عن دار نشر المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار بمدينة روية الجزائر سنة 1985م، بطبعة ثانية، وهي تتراوح بين ثلاثة عشر فصلا معنونة بضمائر اللغة العربية (أنا، أنت، أنت، هو، هي، نحن، أنتما، أنتما، هما، أنتم، أنتن، هم، هن). في 211 صفحة.

تحكي هذه الرواية تاريخ مدينة الجزائر العاصمة لحقبة زمنية تتجاوز خمسة قرون، وما شهدته من غزو واستيطان ومحن، في مسردية ظمائية، لعبت فيها ضمائر اللغة العربية أدوارا محورية في شخوص الرواية، كما تؤطر هذه الرواية فضاء مكاني وزماني حيث توالى الأحداث في مدينة الجزائر العاصمة أيام العشرية السوداء، مع استذكار لمراحل وأثار الغزو الفرنسي للجزائر، حيث تلتقي شخوص الرواية في مشاهد ملحمة جعلت تضحياتها في سبيل تحقيق مبادئها وآمالها في غد أفضل تسوده السكينة والأمن والاستقرار.

تصور لنا الرواية ملحمة تاريخية تضيء إلى الصراع بين المستعمر والمستعمر، هذا الأخير الذي كان عدوا خارجي يأتي من وراء البحر، لكن المستعمر الذي تواجهه المدينة هو عدو داخلي، تضاربت مصالحه مع الآخر فتحوّلت المدينة إلى تناحرات مصرائية بين بني المدينة الواحدة، بين الشيخ وجلاوزته، الممثلين في الطبقة الحاكمة للمدينة، وفارضين النظام المشيخي (دستور المدينة)، وبين ثلة من أبنائها البررة الذين رفضوا بيع الوطن، وهم الثوري النقابي بوجبل الذي اغتاله الشيخ وجلاوزته، واختطفوه من بيته بينما كان نائما مع عائلته، واقتادوه وعذبوه ثم أخذوه إلى الشاطئ فأغرقوه في البحر، لأنه كان يبيث أفكاره الواعية التحررية في أبناء وطنه، خاصة عند صمم مشروع القطار الذي يخدم المدينة وسكانها، على غرار المشيخة التي لا يتوافق هذا المشروع مع طموحاتها في المدينة، لذلك وجب عليهم

قتله، كما نجد الرسام الكبير برهان ابن المدينة، الذي نشر في لوحاته الفنية فكره التحرري، ورسم للمدينة آفاقا تحررية جديدة، خاصة في لوحته الشهيرة والفريدة "صبح الخلاص" حيث جعل منها مدينة مبهجة دون حضور الشيخ وجلالوته بهدم قصورهم ومشيختهم التي لا طالما ضيقت الخناق على سكان المدينة، وقد اغتيل بنفس الطريقة التي اغتيل بها المناضل بوجبل، حيث سلوه من بين أحضان زوجته، واقتادوه في السيارة لينال قسطا من التعذيب ثم ألقوه في البحر . أيضا نجد زوجة بوجبل، الجوهر التي ما فتئت تتغذى بروح المقاومة والثورة وحب الوطن من زوجها، والتي كانت مساندته من اللحظة الأولى التي عرفها بها، فربت أولادها على ذلك، لأنها تزلت وهم صغار، فعملت من أجل أبنائها الخمسة ، أولادها الأربعة الذكور الذين انحرفوا عن مسار الحياة الطبيعية، وفشلوا في دراستهم عكس أختهم جميلة التي تكلفت جهود أمها بالنجاح لتصبح مهندسة معمارية شاطرة، وهي نفسها زوجة الرسام برهان، فقد حملت مشعل الحرية والتحرر، فورثت هذا الفكر التحرري من والدها بوجبل، كما تغذت روحها بالوطنية من قبل زوجها الرسام، فهمت بوضع أسس مشروعها النضالي، فصممت مخططات عمرانية تضيفي إلى مشروع عمراني جديد، يجعل من المدينة أكثر تقدما، وأبلغها حضارة.

لقد نال أبناء بوجبل قسطهم من التهميش، حيث أن استهتارهم وعدم شعورهم بالمسؤولية ، جعل منهم عرضة للتهميش وكذا الاقْتِياد إلى السجن بتهمة قتل الرسام برهان، ولبنوا في سجنهم نحو ثمانية عشر سنة، وكانت بالنسبة لهم مدة كافية لاستشعار ذنبهم، واستنارة عقولهم، وتسسل الأفكار التحررية إليهم، وفهموا الكثير عن سياسة الشيخ وجلالوته الجائرة. فهم أيضا ينتظرون إشراق غد أفضل.

ولد ابن جميلة والرسام برهان يتيما، إذ توفت والدته إثر مضاعفات الولادة العسيرة، فربته جدته الجوهر واتخذت من القرية الموجودة في سفح الجبل بيتا لهما، إلى أن بلغ من الكبر سبعة عشر عاما، وأصبح مهندسا معماريا مثل والدته، حيث استكمل طريقها في

النهوض بمدينةنته، وهاهو يحمل مخططات والدته التي رسمتها، إذ سلمتها له جدته الجواهر قبل وفاتها، عازما أن ينحو منحاهما، ويدشن مدينته ومدينة عائلته (والدها الرسام، والدته جميلة وجدّه بوجبل، جدّته الجواهر)، كلهم يحلمون بمدينة جديدة مستقرة، وهاهو الابن المهندس يدشن مدينتهم الحلم.

نبذة عن حياة الكاتب جيلالي خلاص:

الروائي الجزائري جيلالي خلاص من مواليد 20 أفريل 1952 بعين الدفلى، ينتمي إلى عائلة بسيطة ، تلقى تعليمه الابتدائي بها، ثم التحق بدار المعلمين بخميس مليانة، تخرج منها سنة 1970م، دخل سلك التعليم وبقي فيه إلى غاية 1980م، حيث التحق بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع فشغل منصب مسؤول النشر فيها.

يعد جيلالي خلاص واحدا من أهم أسماء الجيل الثاني في القصة القصيرة في الجزائر. ولعل أبرز إنجازاته:

كتابات:

- مجموعة قصصية معنونة بـ"أصداء" صادرة عن وزارة الثقافة الجزائر سنة 1976م.
- خريف رجل المدينة، قصة صادرة عن المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر، 1979م.
- نهاية المطاف بيديك، قصة صادرة عن المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر سنة 1981م.
- رائحة الكلب، رواية صادرة عن المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر سنة 1985م.
- حرائم الشفق، رواية صادرة عن المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر سنة 1985م.
- عواصف جزيرة الطيور، رواية صادرة عن منشورات مارينور سنة 1998م.
- زهر الأزمنة المتوحشة، رواية صادرة عن دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1998م.

- بحر بلا نوارس، رواية صادرة عن دحلب الجزائر سنة 1998م.
- الحب في المناطق المحرمة، رواية صادرة عن منشورات مارينور سنة 1998م.
- زمن الغريان (حركة الخبزة)، رواية صدرت عن دار القصبة الجزائر، في جانفي 2018م.

قصص موجهة للأطفال:

- قصة مرارة الرهان صادرة عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1982م.
- قصة سر المشجب صادرة عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1983م.
- قصة الديك المغرور صادرة عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1984م.
- قصة السفر إلى الحبّ صلدرة عن الحضارة الجزائر سنة 1997م.
- قصة السلحفاة والنهر.

البحوث والترجمات:

ترجم رواية الإرثاء للروائي الجزائري رشيد بوجدره الصادرة عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1983م.، كما ترجم رواية البحث عن العظام للروائي الطاهر جاووت الصادرة عن المؤسسة الجزائرية للطباعة سنة 1992م. كما له كتاب معنون بـ الكتاب والخبز والاسمنت الصادر عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1982م.

ترجمت أعماله إلى اللغات الفرنسية والروسية والإيطالية والألمانية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

1. جيلالي خلاص، حمائم الشفق، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، روية، الجزائر، ط2، د.ت.

ثانياً: المراجع العربية

1. ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، د ط، د ت.
2. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته تطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 2007م.
3. الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.
4. جميل حمداوي، صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي، مجلة الأزمنة الحديثة، ع3-4، المغرب، أكتوبر 2011م.
5. جميل صليبا، معجم الفلاسفة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، 1982م.
6. حامد زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1990م.
7. حسين بوبيدي ومحمد بوعبد الله وآخرون، إشكالية الهوية (دراسة في التشكل والتمثل والتفاعل)، المركز الجزائري للدراسات مجد ودار الإحسان، باتنة، الجزائر، ط1، 2020م.
8. عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط2، 2009م.
9. محمد صالح الشنطي، أسئلة الفكر وفضاءات السرد، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
10. محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الجزائر، 1983م.

11. محمود يعقوبي، معجم الفلاسفة-أهم المصطلحات وأشهر الأعلام-، دار الكتاب الحديث، ط1، 2008م.
 12. مخلوف عامر، مراجعات في الأدب الجزائري، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013م
 13. ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط4، 2005م.
 14. نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
 15. واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- ثالثا: المراجع الأجنبية

01. سيغموند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1982م.
- رابعا: الرسائل الجامعية

1. صوافي بوعلام، محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة وهران1، الجزائر، السنة الجامعية 2014-2015.
- خامسا: المقالات الأكاديمية والمجلات والدوريات

1. أحلام معمري، مقال نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، عد20، 2014م.

سادسا: المعاجم والقواميس

1. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب ، مج 2، دار صادر للطباعة و النشر بيروت ، لبنان 2000م.
2. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ، لبنان ، د.ت .

فهرس المحتويات

05	مقدمة.....
06	الفصل الأول: مفاهيم أولية حول الأنا والآخر
06	أولا / الجهاز المفاهيمي للأنا والآخر.....
06	1/ مفهوم الأنا.....
06	1-1 / المفهوم اللغوي للأنا.....
07	1-2 / المفهوم الاصطلاحي للأنا.....
09	1-3 / المصطلحات المرادفة لمفهوم الأنا.....
10	2 / مفهوم الآخر.....
10	2-1 / المفهوم اللغوي للآخر.....
11	2-2 / المفهوم الاصطلاحي للآخر.....
13	2-3 / المصطلحات المرادفة لمفهوم الآخر.....
14	ثانيا/ حضور ثنائية الأنا والآخر في الخطاب الروائي.....
14	1 / حضور ثنائية الأنا والآخر في الرواية العربية.....
21	2 / حضور ثنائية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية.....
21	2-1 / حضور ثنائية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية..
25	2-2 / حضور ثنائية الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية..
28	ثالثا/ خصوصية الكتابة الروائية في خضم جدلية الأنا والآخر.....
31	الفصل الثاني: تجليات صراع الأنا والآخر في رواية "حمام الشفق" للروائي الجزائري جيلالي خلاص.....
32	أولا/ الشخصية الضمائية وحضورها بين الأنا والآخر.....
32	1 / الأنا الوطني/الآخر الخائن.....
34	2 / الأنا الأنثوي/الآخر الذكوري.....
34	2-1 / علاقة حب وفخر.....
35	2-2 / علاقة وصال وتفاهم.....

فهرس المحتويات

36	2-3 / علاقة صدام وعدم التوافق.....
37	2-4 / علاقة
38	3 / الأنا (الهو) المستقبلي/الآخر الواقع.....
40	4 / الأنا الضحية/ الآخر المتهم.....
40	ثانياً/ الفضاء المكاني بين جدلية الأنا/الآخر.....
41	1 / الأنا البر/الآخر البحر.....
41	2 / الأنا المدينة/الآخر الجبل.....
42	3 / الأنا السجن/الآخر المدينة.....
44	4 / المدينة الواقع/ المدينة الحلم.....
47	ثالثاً/ الفضاء الزمني بين حضور الأنا/الآخر.....
48	1/الأنا الماضي/الآخر المستقبل.....
51	2 / الأنا الصيف/الآخر الشتاء.....
52	3/الأنا الليل/الآخر النهار.....
54	خاتمة.....
58	الملحق.....
62	قائمة المصادر والمراجع.....
67	فهرس المحتويات.....

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تجليات الأنا والآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة، ومدى أهميتها في إبراز الأنساق الثقافية المضمرة التي ساهمت في التشكل الدلالي للنص الروائي. حيث تتجلى خصوصية الصراع بين الأنا والآخر في رواية "حمام الشفق" للروائي الجزائري "جيلالي خلاص" في مواطن كثيرة تمحورت في أفضية مكانية وزمانية وشخصيات ضمانية ساهمت بشكل كبير في هندسة بناءها الفني والدلالي.

Abstract:

This study seeks to reveal the manifestations of the ego and the other in the contemporary Algerian novel, and its importance in highlighting the implicit cultural patterns that contributed to the semantic formation of the narrative text. The peculiarity of the conflict between the ego and the other is evident in the novel "Doves of Twilight" by the Algerian novelist "Djilali Khalas" in many places centered on spatial and temporal virtues and conscientious characters that contributed significantly to the engineering of their artistic and semantic construction.